فهلْ لنا أخي المؤمن، بعدَ كُلِّ ما سَمِعْنا مِنْ رفيع الأَدِلّة، أنْ نقولَ في يوسفَ عليه السلام، قولاً لا يَلِيقُ به؟

مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

١ - تحفيزاً للشباب على رفض الإغواء الذي قد يتعرضون له، وذلك بالتأسي بتصرف يوسف عليه السلام عن طريق تقوية رؤية براهين الله تعالى بالتأييد والنصرة عند رفض الفاحشة، ويجب الإستعداد لدى الشباب باستحضار آيات قدرة الله تعالى في الكون، ومعاني مراقبة الله تعالى والمعرفة بأنه مطلع على الخبايا والخفايا، وأنه لا يخفي عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

٢ - وجوب الدعاء إلى الله تعالى أن يصرف عنا وعن أبنائنا السوء والفحشاء، بذكر الآية الكريمة، تأسياً بفضله على نبيه يوسف عليه السلام وهو السميع العليم، القريب المجيب الدعاء.

ثم يقول الله تعالى:

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

[رقم الحلقة على القرص المدمج: ٢٠]

تَنْقُلُنا الآيةُ الكريمةُ أخي المؤمن، إلى مشهدٍ جديدٍ من مشاهدِ قِصةِ يوسفَ عليه السلام، تتَسَارَعُ فيه الأَحداثُ في غَزارةٍ شديدة بالمعاني، وتنوُّعٍ واسعٍ في الصُّور، وتَفاعُلٍ عالٍ في المشاعر، وٱنتقالٍ مِفْصَلي في وضع يوسفَ عليه السلام.

إلا أنه، وَمعَ كلِّ هذه الغزارةِ والتسارع، تَحْمِلُنا الآيةُ الكريمةُ إلى مشاعرَ

جديدةٍ مِنَ السعادةِ والانتصار في نجاح يوسفَ عليه السلام في ٱجتياز المرحلةِ الأَصعبِ منَ الامتحانِ، بٱمتيازٍ رفيع...

وسنتابعُ أَحداثَ المشهدِ، الواحدَ تِلوَ الآخر.

يقولُ الله تعالى: ﴿واسْتَبَقَا البابَ﴾.

في هذا الشطرِ من الآية، لطائفُ عدة:

اللطيفة الأولى: في تأَمُّلِنا لما أَنتَجَتْه كلمة **﴿واستبقا الباب﴾**، من تحريكٍ مفاجىءٍ للمشهد، مِنْ حالِ توترٍ وٱحتقانٍ شديد، مَعَ هدوءٍ حَذِرٍ، إِلى تنفيسِ الاحتقانِ وحركةٍ عاليةٍ مُتصاعدة، بدأَتْ بتحرُّكِ يوسفَ عليه السلامُ المفاجىءِ، وما أَعْقَبَهُ مِنْ تحرُّكٍ مِنَ امرأةِ العزيزِ في أَعقابِهِ. وفي هذا المشهد، تثبيتٌ لقاعدةٍ هامةٍ من قواعدِ عِلْمِ الاجتماع، نُورِدُها كالتالي: إنّ الٱحتقانَ الشديدَ في العلاقاتِ بينَ الأَفرادِ، هو المُحفِّزُ لحصولِ التنفيسِ عبرَ الٱنفجار، الذي يَظْهَرُ إِلى العَلن، إِمّا عِراكاً، أو شِجاراً كلامياً، أو تشنجاتٍ بكائيةً، أو أَذيةً مادية، كمثلِ هدوءِ ما قَبْلَ العاصفة. وغالباً ما تكونُ الأضرارُ أَفْدَحَ مِمّا قد يُخَيَّلُ للأطرافِ حالَ الاحتقان.

اللطيفة الثانية: في تأَمُّلِنا للدوافعِ والأَسبابِ التي حَمَلَتْ كُلاً مِنهُما للرّكْضِ نحوَ الباب.

فَمِنْ جِهةِ يوسفَ عليه السلام، وبعدَ أَنْ حَماهُ الله تعالى مِنْ شَرِّ الوقوعِ في المعصيةِ، أو التفكيرِ فيها، كانَتِ الخِياراتُ أَمامه ضيقةً محدودة:

فإِمّا أَنْ يتسمر واقفاً مكانَه، مُلتزماً مَوْقِفَهُ بالرفضِ السَلْبِيِّ، دونَ أَنْ يُحرِّكَ سَاكِناً.

وإِمّا أَنْ يَدْفَعَها عنه، وهذا يَعْني ٱضطرارَهُ لاستعمالِ العُنْفِ، مَعَ خُطورةِ ٱنقلابِ الموقفِ ضِدَّه، فيما لو دَفَعَها وأُصيبتْ بأذيةٍ.

وإمّا أنْ يبتعدَ ويتركَ الغُرْفَةَ وبأسرعِ ما يُمْكِن.

وفي كل الأحوال، فإنّ القرارَ صعبٌ ومريرٌ على يوسفَ عليه السلام:

فهو في موقعِ الخادمِ لدى سَيِّدَةِ القصر، وأيٌّ مِنَ الخِياراتِ الثلاثةِ المذكورةِ مُرُّ المذاق، فهو إمّا أَنْ يتأذّى في ٱستمرارِ تَصاعُدِ الأحتقانِ في الموقفِ في الخِيارِ الأَول، وإمّا أنْ يَتحوَّلَ مِنَ الضَّحيّةِ إلى المذنبِ في الخِيارِ الثاني، وإمّا أنْ تُعاقِبَهُ العِقابَ الشديدَ في الخِيارِ الثالث. وها نحن نَراهُ، بما آتاهُ الله تعالى مِنَ الحِكمةِ والعِلْم، يَختارُ أهونَ الشرور، ويَقْبَلُ على نَفْسِه ٱحتمالَ معاقبتهِ ظُلْماً، ويُسْرِعُ في الانسحابِ مجتهداً أفضلَ ٱجتهادٍ. وسَنَرى آثارَ هذا الخيارِ الصائبِ، في اللاحقِ مِنَ الآيات.

ومن جهةِ امرأةِ العزيز، فقد تَعدّدَتِ الأَسبابُ التي تَحْمِلُها على الركضِ باتجاهِ الباب، وقد رأَتْهُ يركضُ باتجاههِ:

فإمّا لمنعِه مِنَ الهرب، وقد عَلِمَتْ منه الصُّدودَ والرفض..

وإمّا لمحاولةِ مُراوَدَته عن نفسِه مِن جديد..

وإمّا لِسَبْقِه والوِشايةِ به كَذِباً لمعاقبته.

وإمّا لمغادرةِ الغُرفةِ بعدَ أنْ أيقنتْ أنه لنْ يَسْتَجِيبَ لها.

والحقيقةُ أَنَّ تَسارُعَ الأحداث، وظهورَ عواملَ جديدةٍ، حَسَمتْ هذه الاحتمالاتِ، وأدارتْ تَطَوُّرَ القِصةِ في اتجاهٍ جديد، كما سنَرى لاحقاً إن شاءَ الله.

اللطيفة الثالثة: في تأَمُّلِنا لِمَعْلم جديدٍ مِنْ مَعالِمِ شَخصيةِ يوسفَ عليه السلام. فنحنَ نُلاحِظُ أَنه منذُ حديثِ الرؤيا إلى يعقوبَ عليه السلام، في أولِ السورة، لم نَسمعْ منه حديثاً، ولم نَشْهَدْ له تَصَرُّفاً، بل كانَ مواكباً لتطورِ الأَحداث.

ثم ها نحنذا نَسْمَعُه في أَولِ كلمةٍ يُسَجِّلُها لهُ القرآنُ الكريمُ بقولِه: ﴿**مَعاذَ الله إِنّه رَبّي أَحسنَ مَثْواي إِنه لا يُفْلِحُ الظّالمون**﴾، ثُمّ نَراهُ يَنْفُضُ عَنْ نَفْسِه ثوبَ الطّاعة، ويقومُ بتصرُّفٍ رافضٍ بركْضِه نحوَ الباب، في تَصَرُّفٍ جريءٍ قد لا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ لِمَنْ هُوَ في مِثْلِ صِفتِه، أَمامَ مَنْ هي في مِثْلِ صِفَتِها.

مَعَ هذا الحدث، بَدأْنَا نَرى في يوسفَ عليه السلام، رجلاً ذَا شَخصيةٍ قويةٍ مُكْتَمِلة: لقد اَستوعبَ الموقفَ وعَرَضَهُ على الثوابتِ التي يَحْمِلُها ممّا عَلّمَهُ الله تعالى بِمُقْتَضَى قولِ الله تعالى: ﴿**وآتيناهُ حُكْماً وعِلْماً**﴾[1] وطَبّقَ القاعدةَ الكُبرى: «**لا طَاعَةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق**»، فإذا بجميع الاعتباراتِ الواهية تتَهاوَى، فلم يَعُدْ يَرى في نفسِه، ربيب بيتِ العِزّ، حيثُ يَجِبُ أَنْ يَتَلَقّى الأَوامرَ ويُطيع، ولم تَعُدِ امرأةُ العزيزِ سيدةً تَأْمُرُه وتَنْهَاهُ، بل وَجَد نفسَه في موقفِ نصيرِ الحقِّ في مُواجهةِ دَاعِي الباطل، وهذا الموقفُ لا يَحْتَمِلُ المُهادَنَة، فكانَ قرارُه حَازِماً جازماً، ليكونَ لنا مِثالاً رائعاً يُحْتَذى، ويَحْملُنا على أَنْ نَقْتَدِيَ به فيما يَعْترِضُنا مِنْ مَواقفَ صَعبةٍ في سيرةِ حياتِنا.

[ننتقل إلى حلقة أخرى على القرص المدمج رقمها: ٢١]

ثم يقولُ الله تعالى: ﴿**وقَدّتْ قَميصَهُ مِنْ دُبُر**﴾.

في هذا الشطرِ منَ الآية، لطائفُ عدة.

اللطيفة الأولى: في دَهْشَتِنا، ونَحن في سِياقِ آيةٍ شاملةٍ جَامعةٍ مُوْجَزَة، أَنْ نرى تفصيلاً قد يبدو لأَوّلِ وَهْلةٍ، غيرَ ذِي بال. لكنّ الله سبحانَه وتعالى، شاءَ أَنْ يَجْعَلَ في هذا التفصيل، دليلَ براءةِ يوسفَ عليه السلام، فإذا بهذا التفصيلِ الصغير، يَرْتَدِي الأَهميةَ الفَائقةَ، ويُوْصِلنا إِلى قاعدةٍ هامةٍ من قواعدِ تَعامُلِ الناسِ

(١) [سورة يوسف، الآية: ٢٢].

فيما بينهم، ومُفَادُها: الناسُ تَأْخُذُ بالأدلةِ المحسوسةِ للتّصدْيق، أَمّا مجردُ القولِ الصادقِ غير المشفوعِ بالدليلِ الحِسيّ، فلا مكانَ له بينهَم. لأَنّ السَرائِرَ لا مقِياسَ لها في الحياةِ الدنيا.

ولقد أَعْمَل الله تعالى على يوسفَ عليه السلام، هذه القواعدَ الدنيوية، أُسوةً ببقيةِ البَشر، تدليلاً على بشريةِ الأنبياءِ والمرسلين، وخُضوعِهم أصلاً لحياةِ البشر، وٱستثناءً لتمييز الأَنبياءِ والمرسلين.

اللطيفة الثانية: في تأمُّلنِا للحالِ النفسيةِ التي كانَتْ عليها ٱمرأةُ العزيز، وهي تَقُدُّ قَمِيصَه مِنْ دُبُر: لقد ٱسْتَبَقَا الباب، ولقد سَبَقَها، لأَنه هو الذي بدأَ أولاً بالتحرُّك، وهذا دليلُ براءةٍ أولُ له، ولقد وصلَ إِلى الباب قَبْلَها. لقد أَصابَها الغَضبُ والقلقُ في آن:

- الغضبُ مِنْ رَفْضِه لها، ثُمّ من ٱبتعادِه عنها، ثم عَزمِه على مُغادَرَةِ الغُرْفَة، وٱحتمالِ سَرْدِه لِما حَصَلَ.
- والقلق مخافةَ أنْ ينتشرَ الخبر.

كلُّ هذا دَفَعَها إِلى مَنْعِ يوسفَ مِنَ المغادرة، أَو على الأقل، أَنْ تُغادِرَ قبله، فأَمْسَكَتْ بهِ لتُبعِدَهُ عنِ الباب، وكانَ أنْ مَزّقَتْ قَميصَهُ مِنَ الخَلف..

رَدّةُ الفعلِ هذه، ليستْ واحدةً بين الناس: ففي مثلِ هذا الموقف، نجدُ مِنَ الناسِ مَنْ يُصيبُه الإِرباكُ، فلا يَقْوَى حراكاً، ويتسمرُ في أَرْضِه تَائِهاً حائراً، ومنهم مَنْ يُصيبُه الغَضَبُ الجامِح إِلى درجة الجنون، فيُقْدِمْ على أَفعالٍ غير موزونة قد تكونُ مُؤْذية. ومنهم مَنْ يكونُ سريعَ التفاعلُ سريعَ البديهة، قريبَ الخاطر، يَبْحَثُ عن أَفضلِ الحلول، ويُسْعِفُهُ الذِّهنُ فيتخذُ القَرارَ الذي يَعْتَقِدُه الأَفضلَ لمصلحتهِ، ويقومُ بتنفيذه، وكانَ هذا حالَ امرأةِ العزيز.

لقد تتبَّعَ العلماءُ في عصرِنا الحالي، هذه المسألةَ عَنْ كَثَب، وأَصبحَ بإمكانِنا

اليوم، أنْ نَرْسُمَ خَريطةَ تَنقُّلِ الأَفكارِ بينَ أَرجاءِ الدِّماغ، ذَهَاباً، وإِياباً، صُعوداً، وهُبوطاً، وما يمكنُ أنْ تَصِلَ إِليه من نتيجةٍ، بحسَبِ التكوينِ الدّاخِليِّ الوظائِفيِّ المرتبطِ بخصائصِ الشّخْصيةِ لكلِ واحدٍ منا، لكنّ المقَامَ لا يَتّسِعُ في تأمُّلِنا اليوم، للحديثِ عَنْ هذا الفتح الإِلٰهيِّ للإِنسان، وهو على درجةٍ عاليةٍ منَ الأهمية.

اللطيفة الثالثة: في قولِه تعالى: ﴿**وقَدّتْ قميصَهُ مِن دُبرٍ**﴾ فيما تَنقُله إِلينا من صورةٍ لِتَبَدُّلِ حالِ الإِنسانِ وَقْتَ الغَضَب. والحقيقةُ أَنّ قوةَ الإِنسانِ البدنيةَ تتضاعَفُ عِنْدَ الغَضَب، لِتَسارُعِ إفرازِ مَادّةِ الأَدرينالين في الدم، فما يُعْطِي العضلاتِ قابليةً أَعْلَى للقبضِ والضغط. فإِذا كانتِ ٱمرأةُ العزيزِ جَذَبَتْ يوسفَ عليه السلامُ مِنَ الخَلْفِ لإِبعادِه عنِ الباب جذباً غيرَ عنيفٍ، لَما أَدّى ذلك إِلى تمزيقِ قميصِه. إِلا أنّ حالةَ الغضبَ الشديدِ التي ٱنْتَابتها، جَعَلتْ قوةَ جَذْبِها كافيةً لتمْزيقِ القَميص، وتلك كانت رحمةً منَ الله تعالى، لإِيجادِ الدليلِ الماديِّ لإِثباتِ براءَةِ يوسفَ عليه السلام.

ثم يقولُ الله تعالى: ﴿وأَلفَيا سيّدَهَا لَدا الباب﴾.

في هذا الشطرِ منَ الآية، لطائفُ عدة:

اللطيفة الأولى: في تَسارُعِ الأحداث، وبروزِ الصُّورِ، الواحدةُ تلوَ الأُخرى، مِنْ غيرِ أنْ تكونَ مُعَقّدةً، تَقْتَضي خيالاً صعباً للتصوير، مَا يَضْمَنُ ٱستمرارَ متابعةِ القارىءِ والمستمعِ، منْ غيرِ إرهاق.

اللطيفة الثانية: في الإِطلالِ على مشهدٍ جديدٍ بمعطياتٍ جديدة:

فالعزيزُ هو سيدُ القَصْر، وهو الحاكمُ والآمرُ والناهي فيه، وهما أَمامَ واقعةٍ تَتمثّلُ بوجودِهما معاً في غُرْفَةٍ مغلقة، وعليها تبريرُ هذا الوجود.

في هذه اللحظة، تَتبدَّلُ الحالُ النفسيةُ عند كلٍّ منهما:

فآمرأةُ العزيز، التي كانَتْ في موقعِ الآمر والناهي داخلَ الغُرفة، ثم في موقعِ الغاضب المنازِعِ عند باب الغُرْفة، أَصبحتْ في موقعِ المَبرِّرِ الباحثِ عنِ الخَلاص، في حَضْرةِ سَيِّدِها. في هذه اللحظة، صارتْ تَبْحثُ عَنِ النجاة، حتى بالكذبِ وَرَمْيِ الآخَرين.

أَمّا يوسفُ عليه السلام، الذي كانَ داخِلَ الغُرفة في موقعِ المتلقِّي للأوامر، ثم في موقعِ الرافضِ المنتفضِ عندَ بابِ الغرفة، فقد أَصبَح في موضعِ المتَّهَمِ الذي يُدافِعُ عَنْ نفسِه، أَمامَ العزيز، مع ضَعْفِ وسائِلِ الدِّفاع...

اللطيفة الثالثة: لغوية في قول الله تعالى: **﴿وألْفَيا﴾** فعلى الرُّغْم مِنَ الجَوِّ العاصفِ الذي تدورُ فيه الأَحداث، جاءَتْ كلمةُ أَلْفَيا، لطيفةً مُلَطِّفَةً للجوِ، وأَعْقَبَها تَنَاغُمُ الكلماتِ في السِياق، **﴿وألْفَيا سَيِّدَها لَدَى الباب﴾**؛ وهذه جَماليةٌ لغويةٌ لا نَجِدُها في كلامِ البشر.

ثم يقولُ الله تعالى: **﴿قالتْ ما جزآءُ مَنْ أَراد بأهلِكَ سُوءاً إلاّ أَنْ يُسْجَنَ أَو عذابٌ أليم﴾**.

في هذا الشطرِ منَ الأية، لطائفُ عدة.

اللطيفة الأولى: في آستمرارِ تأَمُّلِنا لشخصيةِ آمرأةِ العزيز، وهي تُتابِعُ مَنْهَجَها في التعامُلِ مَع الحدَث: فحينَ قَرّرتْ أَنْ تَلْحَقَ بيوسفَ عليه السلام، وجَدْنَا أَنها مِنَ الذين يتمّتعونَ بسرعةٍ بديهةٍ وتأَقْلُمٍ سريعٍ معَ الأَحداث، وها هي ذِي مَرةً ثانيةً، تؤكِّدُ أَنها تَتمتّعُ بحضورِ ذِهنٍ وسرعةِ بديهةٍ لكنّها تَسْتخْدِمُها في الباطِلِ، فترمي يوسفَ عليه السلام زُوراً وكَذِباً بما كانَتْ تَعْتَزِمُه هي، وتَعرِفُ يقيناً، بأنه سَيِّىء.

هذا الحدث، يُوصِلُنا إِلى قاعدةٍ أُخرى مِنْ قواعدِ عِلْمِ الآجتماع. ومُفادُها:

تَوُّقدُ الذَكاءِ متروكٌ بينَ النَاس، يَسْتخدِمُونَهُ إِمّا في الخيرِ فَيُفْلِحونِ وإِمّا في الشر، فيقعونَ ويُوقِعون.

اللطيفة الثانية: في تناسُقِ العبارة مَعَ الأَدبِ الرفيع. فالله تعالى أَجْرى على لسانِ أمرأةِ العزيزِ كلاماً راقياً للتعبير عَنْ فِكرةٍ قبيحة، فقالتْ: ﴿**مَنْ أَرادَ بأَهْلِكَ سُوءاً**﴾ وهي تقصِدُ فاحشة الاعتداءِ على العِرْض، تُريدُ تَنْزيه نفسِها عنِ الزِّنا.

اللطيفة الثالثة: في تأَمُّلِنا إِلى أَي مَدَى يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ الإِنسانُ الذي لا تُقَوِّمُهُ الأَخلاق، ولا يَرْدَعُه الدين، في الإِمعانِ في الأَذِيّةِ لأَخيه الإِنسانِ الضعيفِ البريء: لقد أقترحَتْ على العزيرِ ظُلْمَيْنِ شنيعَيْنِ بعد أَنْ أَعْمَى الحنقُ بَصيرتَها، وأَفْقَدَهُا الغيظ صَوابها: إِمَّا السِجْنُ، أَو العَذابُ الأليم. وكم مِنَ الظُلْمِ يُرْتَكبُ في حَقِّ الأَبرياء، وَيُظُّن الظَالمونَ أَنهم بِمَنْآىً عنِ العقاب، لكنّ الله تعالى يقول: ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعملُ الظالمون**﴾[1].

مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

١ - للدلالة على وجوب التحرك واتخاذ الموقف الأوفق والأصلح في أسرع وقت ممكن، خشية ذهاب فرصة دفع السوء عن النفس أو التلبس في تهمة هو منها بريء.

٢ - للدلالة على أن المكر السيء حاضر في إذهاب الماكرين، ولا تعوزهم الحيلة، ولا يردعهم ضمير عن الصاق التهم بالأبرياء.

٣ - للدلالة على أن فاقد الضمير يمكنه أن يكون قاسياً جداً مع البريء المتهم، وأن يوقع عليه أشد الأذية، أو أن يساهم بأن تقع عليه الأذية الشديدة، كاقتراح السجن، أو التغريب، أو حتى القتل.

(١) [سورة إبراهيم، الآية: ٤٢].

ثم يقول الله تعالى:

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

[رقم الحلقة على القرص المدمج: ٢٢]

تنقلُنا هاتانِ الآيتان أَخي المؤمن إلى مَشْهدٍ جديدٍ من قِصّةِ يوسفَ عليه السلام، تَكاثَرَ فيه الأشخاصُ شيئاً فشيئاً. فبعدَ أَن كانَ المشهدُ السابقُ مُقْتصِراً على يوسفَ عليه السلام، وٱمرأةِ العزيز، ثم أَصبَح ثُلاثياً بٱنضمامِ العزيزِ إليه، سيتحوَّلُ مَعَ هذه الآية، إلى رُبَاعِيٍّ بدخُولِ الشّاهدِ عليه، ثم سيَزدادُ العَدَدُ إلى أَنْ يتحوّلَ الحدثُ إلى قضيةٍ تَنْتَشِرُ في الأَوساطِ القريبةِ ثم البعيدةِ في المدينة، كَمِثْلِ دوائرِ الماءِ في ٱتساعِها، ثم بعد ذلك، سيُصْبِحُ الحَدَثُ أُمَمِّياً، ثم بعدَ ذلك سيصبحُ كَوْنِيّاً مُتَداوَلاً عَبْرَ الأجيال، هذا الذي لأجْلِهِ غَلَّقَتِ الأَبوابَ، كي لا يَعْرِفَ به أَحد!

سبحانَ الله العظيم: ما شاءَ الله تعالى سَتْرَهُ، سُتِرَ إلى يومِ الدِّين، وما شاءَ إعلانَه، لا ينَفَعُ مَعَه ٱجتهادٌ ولا تَعْمِية.

يقولُ الله تعالى: ﴿**قال هي رَاوَدَتْني عَنْ نَفْسِي**﴾.

في هذا الشَطْرِ منَ الآيةِ، لطائفُ عدة.

اللطيفة الأولى: في تأَمُّلِنا لأُسلوبِ الخِطابِ الذي تَحدّث به يوسفُ عليه السلام. فبعد أَنْ سَمِعَنا في الآيةِ السابقة، قولَ ٱمرأةِ العزيزِ تَتحدّثُ عَنْ يوسفَ دونَ توجيهِ الخِطابِ إليه بقولها: ﴿**ما جزآء مَنْ أَرادَ بأهلِكَ سُوءاً إلا أَنْ يُسْجَنَ أو عذابٌ أليم**﴾، متكلمةً بصيغةِ الغائب، وهو حَاضِر، فلم تستطع بسبب ذنبها

سوى التعريض، إذا به يُصرِّح بجرأة البريء ﴿**هي راوَدَتني عَنْ نَفْسِي**﴾.

ولم يكنْ ليصرحَ بهذا لولا اتهامها له. يقول الله تعالى: ﴿**لا يحبُ الله الجهرَ بالسوءِ من القولِ إلا من ظُلم**﴾[1].

اللطيفة الثانية في تأمُّلِنا وإعجابنا بجُرأةِ يوسفَ عليه السلام، في قولِ الحق، وإنْ كانَ مَنْ هو في مِثْلِ وَضْعِه لا يَجْرُؤُ على الكلام. فهي المرةُ الأُولى التي نَسْمَعُه يُخاطِبُ فيها العزيزَ في مسألةٍ بالغةِ الخُطورة، مُتحَدِّياً فيها زوجةَ العزيز، بل متحدياً العزيزَ نفسَه: فإنّ في اتهامِ يوسفَ عليه السلام، لزوجةِ العزيزِ بمراودتهِ عنْ نفسِه، إنتقاصاً مِنْ منزلةِ العزيزِ واقتضاحَ سِرِّهِ، واهتزازَ مكانتهِ إذْ سيُصْبَحُ مادَّةً خِصْبَةً تَلُوكُها الألْسُنُ في المدينة.

وفي أغلبِ الأحيان، يَقْبَلُ الخَدَمُ على أنْفُسِهم تُهَماً تَتَكفَّلُ بِطَمسِ الحقائقِ مما يُرْضِي الجميع، وقد كانَ بالإمكانِ أنْ يَقْبَلَ على نفسِه التُّهمة، فيُعاقَبَ ظَاهِرياً، ثم يُعْفَى عَنْه كَمَخْرَجٍ للتَّستُّر على امرأةِ العزيز، وبالتالي على العزيز؛ إلا أنه آثَرَ ألاَّ يَتهاوَنَ في حقِّ الله تعالى، في إعلانِ بَراءَتِه، وهو بذلك يُعَلِّمُنَا أنْ نَنْطِقَ بالحق، ولو تحتَ سيوفِ الظُّلْمِ والتهديد.

اللطيفة الثالثة: في تَعَرُّفِنا إلى مَعْلَمٍ جديدٍ مِنْ مَعَالمِ شخصيةِ يوسفَ عليه السلام: فنحنُ نَلْحَظُ أنه مُنذُ بدايةِ قِصّتهِ، كانَ قليلَ الكلام، بل إنه لم يتحدّث في مَواضِعَ حَرَجَةٍ جداً، كما حَصَلَ عندَ انتشالهِ مِنَ البئر، فهو لم يُصَرِّحْ عن نفسِه، وكذلك حِينَ اشْتَراهُ عزيزُ مِصْر، وكذلك حينَ عَاشَ حِقْبَة نُموِّهِ وشبابهِ في بيتِ العزيز. إلا أنه هنا، في هذا الموقفِ الأشدِّ حَرَجاً الذي لو استشارَ فيه الناصحين الدنيويين لأشارُوا عليه بالصمت، هنا تَكَلَّمَ ودافَعَ عن نفسِه. الخلاصة: أنّ يوسفَ عليه السلام، يَعْرِفُ متى يتكلّمُ ومتى يَصْمُت، يَعْرِفُ ماذا

(١) [سورة النساء، الآية: ١٤٨].

يقولُ وكيفَ يقول. وهذا هو ثاني موقفٍ مُشرِّفٍ نَشْهَدُه له، بَعْدَ أنْ تَكَلَّمَ برفضِ الفاحشةِ حينَ قال: ﴿**معاذَ الله إنّه رَبِّي أَحْسَنَ مَثْواي**﴾[1].

اللطيفة الرابعة: في ٱنعدامَ التوازنِ بينَ ٱمرأةِ العزيز، ويوسفَ عليه السلام في هذا الخِصَام، ورُجْحَانَ الكِفّةِ لِصَالِحِها.

فهي أولاً: سيِّدةٌ مَرْمُوقَةٌ يَصْعُبُ على العزيزِ والناسِ مِنْ بَعْدِه أنْ يُصَدِّقَ أنها هَمَّتْ بٱستمالةِ الخادِمِ إليها.

وهي ثانياً: ٱمرأة، وهو رجل، والفِكْرُ يَتّجِهُ غالباً إلى مُحاولةِ الرجلِ أولاً التحرُّشَ بالمرأة، ونادراً ما يَحْصُلُ العكس.

ثالثاً: هي التي بادَرتْ بالاتهامِ أولاً، والفكرُ الإنسانيُ يَميلُ إلى قَبولِ الادِّعاءِ مِنَ المُدَّعِي، ويَنْتظِرُ الدِّفَاعَ مِنَ المُدّعَى عليه، ويَكْفيْهِ أنه لم يُبادِرْ بالاتهامِ حتى يَضْعُفَ مَوْقِفُه.

رابعاً: في ظِلِّ ٱنعدامِ الشهود، سَيُدْلي كلٌّ واحدٍ منهما بأَقوالِهِ، وفي ظاهرِ الحال، سيكونُ تبيانُ الحقيقةِ عَسيراً.

إلا أنّ مشيئةَ الله تعالى، بإظهارِ الحق، قَضَتْ بأَنْ تدورَ الأَحداثُ باتجاهٍ جديد لم تَحْسِبْ له ٱمرأةُ العزيز حِساباً، وهي التي ٱجْتَهَدتْ لإحكامِ الطَّوْقِ حَوْلَ يوسفَ عليه السلام.

يقولُ الله تعالى: ﴿**وشَهِدَ شاهدٌ مِنْ أهلِها إنْ كانَ قميصهُ قُدّ مِنْ قُبلٍ فَصَدَقَتْ وهو مِنَ الكاذِبين**﴾.

في هذا الشَطْرِ منَ الآية، لطائفُ عِدّة:

اللطيفة الأولى: في عودةِ الصُّوَرِ إلى التسارعِ بعدَ هدوءٍ أَعْقَبَ تنفيسَ

(١) [سورة يوسف، الآية: ٢٣].

الاحتقان، فَنَفهَمُ مِنْ سِياقِ الآية. أَنّ المسألةَ تَفاعَلَتْ، ولم يَصلِ العزيزُ إلى تِبيانِ الحقيقةِ مِنْ تِلْقاءِ نفسه، مما ٱستوجَبَ توسيعَ الدائرةِ للحصولِ على إجابة.

ونَفْهَمُ أنّ الشَاهِدَ لم يَكُنْ حَاضِراً في المشهدِ السابق، وهو حينَ أَعْطَى رأْيَهُ لم يَكُنْ قَميصُ يوسفَ تَحْتَ نَاظِرَيْه.

ونَفْهَمُ أَنّ العزيزَ جَادٌّ في السَعْي للوصولِ إلى مَعْرفةِ الحقيقة، دونَ أنْ يَميلَ إلى تَصديقِ زوجتِه. وقد رأَيْنَا أَنّ مِيزانَ القُوى في صالحِها.

اللطيفة الثانية: في إشراكِنا في ٱستنتاجِ آليةِ حُصولِ التمزيقِ دونَ الإفاضةِ في التفصيل. فحينَ ٱكْتَفى الشّاهِدُ بقول: ﴿**إِنْ كانَ قميصهُ قُدَّ مِنْ قُبلٍ فَصَدَقَتْ**﴾ لم يُعْطِنَا حيثياتِ التحليلِ. وترَكَ لنا أنْ نُعْمِلَ فِكْرَنَا، لنصلَ إلى الوقَائعِ التالية: بمعنى: إنْ كانَ قميصهُ قد تَمزَّقَ عِنْدَ صَدْرِهِ، فهذا يَعْني أنه كانَ بمُواجَهَتِها مُقْبلاً عليها، وراحَتْ تُدافِعُ عَنْ نَفْسِها، فَمَزّقَتْ قميصَه مِنْ حيثُ يُمْكِنُها، ولنْ تَتَمكّنَ إلا مِنْ عِنْدِ صَدْرِه.

فٱنظُرْ أخي المؤمن إلى إعجازِ القرآن في الإيجاز.

اللطيفة الثالثة: في إدْرَاكِنا لمشيئةِ الله تعالى، بإحقاقِ الحقِّ دُونَ تَدَخُّلٍ غيبي مُباشِر: لقد شاءَ الله تعالى أَنْ يَظْهَرَ الحقُّ بموجبِ تفاعُلِ البشرِ فيَما بينَهم، بما أَوْدَعَ لديهم مِنْ خَصائِص، خصوصاً نِعمةَ العقلَ والتفكيرِ وما ٱحتاجَتْ تبرئةُ يوسفَ عليه السلام، إلى معجزةٍ غيبية، وهي أهونُ على الله تعالى، فكانَ سيرُ الأحداثِ اللاحق، يُوضِحُ هذا الأمر:

فقد أَنْطَقَ الله تعالى شخصاً مُحايداً بتحليلٍ مَنْطِقي وبمفهومِ الإقناعِ لغيابِ الدليل. وجعلَ هذا الرجلَ مِن أهلِها، لكي لا يكونَ هناك تحيُّز.

وجعلَ الاستنتاجَ في المُطْلَقِ بحيثُ إنه يَصْدُقُ على الحاضرِ والغَائب، وٱستعمَل صِيغةَ الغائب، ليكونَ الحُكْمُ عاماً.

وبدأَ باستعراضِ ٱحتمالِ براءَتِها أولاً، حينَ قال: ﴿إِنْ كانَ قميصُه قُدّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وهو مِنَ الكَاذِبين﴾.

ثم يقولُ الله تعالى على لسان الشاهد: ﴿وإِنْ كانَ قميصهُ قُدّ مِنْ دُبرٍ فكذَبَتْ وهو مِنَ الصّادقين﴾.

وفي هذه الآية، استكمالٌ لتحليلِ الشاهد بأُسلوبِ السردِ ذاتهِ، وبطريقةِ ٱستخلاصِ الحكم نفسِها، دونَ الخوضِ في التفاصيلِ التي تُتْرَكُ لنا لتحليلها كما التالي، بمعنى: وإنْ كانَتْ هي التي تَدْعُوه إلى نفسِها وهو يبتعدُ عنها فارّاً مُتّجهاً نحوَ الباب، وهي تَتْبَعهُ فيكونَ وَجْهُها قُبالَةَ ظَهْرِه، وإنْ شَاءَتِ الإمساكَ به لمنعهِ مِنَ الهرب، فلنْ تَتمكّنَ مِنْ إمساكِه إلا مِنْ خَلْفَهِ، فَلئنْ جَذَبَتهُ يَحْصُلُ التمزيقُ مِنَ الخَلْف.

مواطن الإسترشاد بالآيتين في الحياة اليومية:

١ - للدلالة على وجوب الجرأة في الحق، وقول الصدق ولو كان احتمال خسارة مكسب ما واردة بعد قول الصدق. وهذا من دليل عمق إيمان القائل وصحة توكله على الله تعالى ويستدل على ذلك يقول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: قال هي راودتني عن نفسي.

٢ - للدلالة على خطأ من يلتزم الصمت حال وجوب النطق بالحق، سواء عن نفسه أو عن غيره، كأن يكون شاهداً لحدث قد يعرض بريئاً إلى الاتهام ظلماً حال سكوته حتى ولو كان الكلام قد يفوت عليه كسباً محتمل الحصول.

٣ - للدلالة على وجوب إعمال أسباب الأدلة المادية والمباحث الجنائية للكشف عن ملابسات الأعمال الجرمية، وعدم الإكتفاء بالأقوال، حتى وإن كانت صادرة عن شخص موثوق، فالله تعالى هو أدرى بالسرائر.

ثم يقول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

[رقم الحلقة على القرص المدمج: ٢٣]

نتابعُ معاً أخي المؤمن أَحداثَ قِصةِ يوسفَ عليه السلام، وكنّا قد رأينا في الآياتِ السابقة، موقفَ الاتهامِ الذي وُضِعَ فيه يوسفُ عليه السلام في ظِلِّ انعدامِ الشواهدِ والشُّهود، ثم سَمِعْنا تحليلاً مَنْطِقياً على لسانِ شخصٍ بعيدٍ عن الواقِعة، لم يَكُنْ حَاضِراً حين أَصابَتَ الحَيْرَةُ العزيزَ..

وقد سمِعَ اتهاماً خطيراً مِنْ زوجتِهِ ليوسف، وَردّهُ عليها، وها نحن الآن مَعَ هذه الآية، نستمعُ إلى الحكمِ ببراءةِ يوسفَ عليه السلام، وقد بَرّأَهُ الله تعالى قبلَ العِباد.

يقولُ الله تعالى: **﴿فلما رأى قميصَهُ قُدَّ مِنْ دُبر﴾**.

في هذا الشطرِ مَن الآية، لطائفُ عدة.

اللطيفة الأولى: في ابتداءِ الآيةِ بكلمةِ فَلمّا، تدليلٌ على أنّ العزيزَ لم يَكُنْ قد التفتَ قبلاً إلى حالِ القميص، وهو في حالِ ذهولٍ وَضياع. والتحليلُ المنطقيُ الذي وَصل إليه الشَاهِدُ، ليس صَعْباً نظرياً، على أَيِّ واحدٍ منا، وقد كانَ بِإمكانِ العزيزِ أنْ يُفكِّرَ فيه،لأنه لا يَتَطّلبُ خِبرةً خاصةً كتلكَ التي تَمْتَلِكُها المباحثُ الجنائيةُ في البحث والتقصيّ عنِ الأَدِلّة.

لكننا بالعودةِ إلى قواعدِ علمِ النفس، نجدُ أنّ حالَ العزيزِ في هذه اللحظاتِ تنطبقُ عليها قاعدةُ التَغْشِيَة ومُفادُها: عندَ حُصولِ خَطْبٍ جلل، تَتَعَطّلُ أَجهزةُ التحليلِ والمنطقِ، لفترةٍ زمنيةٍ مِقْدارَ ما يْحْتَاجُهُ الذِّهْنُ لاَستيعابِ الحدَث.

القاعدةُ ذَاتُها تَنْطَبقُ على حالِ الغَضبِ الشديد، الذي يُعَطِّلُ مراكزَ التعقُّلِ والاتزانِ، مما قد يَتَسببُ بأَفْعالٍ منافيةٍ للمنطق، فيها إيذاءٌ غيرُ مُتناسبٍ مَعَ الحدث.

اللطيفة الثانية: في ملاحظتِنا، أَنّ العزيزَ أخذَ بتحليلِ الشاهِد بعينِ الاعتبارِ ولم يُهْمِله، دليلٌ على أنه كانَ يَبْحَثُ عنِ الحقيقة. وهذه مسألةٌ هامةٌ تُلْقِي الضوءَ على حقيقة الحياةِ الاجتماعيةِ التي كانَتْ سائدةً في ذلك الزمان.

فنحن نعلمُ أنّ مصرَ في ذلك الوقت، كانتْ تحْتَ حُكْمِ الفَراعنة، وبعضُهم أدعى الألوهيةَ واستعبد الناس ولم تَكُنِ الضوابطُ الاجتماعيةُ محكومةً بحدودِ الشرع، وأَوامرِه ونواهِيه، مَثَلُها في ذلك كَمَثلِ مجتمعاتِ اليونانِ والإغريق.

وعلى صعيدِ الأُسرة، كانت العائلاتُ تتكوَّنُ بالزواجِ وإنجابِ الأولاد، وحافظَ الناسُ على بعضِ الفِطْرَةِ فيهم، ومنها المحافظةُ على الشعورِ بالغَيرة، رُغْمَ كلِّ الفَسادِ الذي كانَ قائماً، فكانتَ الفَواحشُ والزِّنا موجودةً، إلا أنّ الرجلَ لا يَقْبَلُ على نفسِه أنْ تخونَهُ زَوْجُه، ليس مِنْ مُنطلقِ الحُرْمَةِ الدينية، بل بدافعِ الأَثَرةِ وَحُبِّ الذات، والشعورِ بالمهانةِ والذِّلّة.

نَسُوقُ هذه الوقائعَ لِننَظر إلى عصرِنا اليوم. لنرى أنّ التاريخَ يُعيدُ نفسَه، وأنّ الخُطَّةَ الشيطانيةَ في التعاملِ مَعَ الإنسان، واحدةٌ منذُ أنْ خَلَق الله تَعالى آدم، ثم تَوَعّدَهُ وذُرِّيتَهُ بالإغواء. فنحن نرى في المجتمعاتِ الغربية المتحضّرة، المتدنيةِ إلى أسفلِ دَرْكٍ في الانحلالِ والتفلُّت، حيثُ لم يَعُدَ الزِّنا جُرْماً يُعاقَبُ عليه، وقد دَخَلَ في ذِهنيةِ المواطِنِ الغربي، منذُ نُعومةِ أَظْفَارِه، أنّ الزنا سلوكٌ طبيعيٌ لدى الإنسان، وقد بلغَ عمقُه في الذِّهينةِ الغربيةِ مبلغاً، أَصبحَ الذي لا يُمارِسُه غيرَ طبيعي.

مَعَ كلِّ هذا الانحراف، نجدُ أنَّ المجتمعَ بأَسْرِهِ تَثورُ ثَائِرتُه، حينَ يَحْصَلُ

زنا مضافاً إلى أُسرةٍ قائمةٍ بطريقِ الزواجِ أو بطريقِ الزنا، وهذه من غرائبِ الأُمورِ وعجائبِها: فالمجتمعُ الغربيُ يقبلُ الزنا الأَول، الذي عليه تقومُ الأَسَرُ، ويَرْفُضُ الزِنا الثاني الذي يَطْرَأُ على الزِنا الأول. إنها مجتمعاتٌ تحيا حالةَ انفصامٍ حقيقية، وهي تَتَخَبَّطُ في ظلماتِ اَعتمادِ قواعدَ عقيمةٍ في تنظيمِ مجتمعِها، مَثَلُها في ذلكَ كَمَثلِ ما عاينتُه المجتمعاتُ البائدة التي أَزالها فَسادُها من الوجود.

وبالعودةِ إلى حالِ عزيزِ مصْر، فإنّ بحْثَهُ عنِ الحقيقة، كان حقيقياً وجاداً، وذلك لمعرفةِ ما إذا كانتِ امرأته هي المذنبةَ أم يوسف. أَمّا بعدَ المعرفة، فإنّ التصرفَ يكونُ مختلفاً فيما لو كانَ يوسفُ عليه السلامُ هو المذنبَ، أو فيما كانتْ هي المذنبة، على ما سَنَرى في لاحقِ الآيات.

ثم يقولُ الله تعالى: **﴿قال إنه من كيدِكُنّ إنّ كيدكُنّ عظيم﴾**.

في هذا الشطرِ منَ الآية، لطائفُ عدة:

اللطيفة الأولى: في الأُسلوبِ الذي اَعتمَدَهُ العزيزُ في إِصْدارِ الحكم، وقد تجلّتِ الحقيقةُ واضحةً أمامَ عَيْنَيْهِ، بإدانةِ اَمرأتِه، وتبرئةِ يوسفَ عليه السلام: فلم يقُلْ إنك أَنت المذنبة، بل لم يُوَجِّهْ إليها الكلامَ غيابياً، على نحوِ تخاطُبِ اَمرأتِه ويوسفَ، في دفاعهما، إنما وَجّهَ الخِطَابَ إلى عامّةِ النِساءِ وهو أُسلوبٌ ذكيٌ، رَمَى مِنْ ورائِه إلى عدم إظهارِ عُلْوِّ يوسفَ عليه السلامُ على امرأتِهِ.

اللطيفة الثانية: في إعلامِنا من خلالِ هذه الصيغة في إِصدارِ الحُكْمِ، بأَنّ العزيزَ لنْ يكونَ على مستوى الجُرأَةِ المطلوبةِ منه في مثلِ هذا الموقفِ بمعاقبةِ زوجتِه، أو على الأقل تعْنِيفها، ولا بمستوى الإنصافِ المطلوبِ منه بالثناءِ على يوسفَ عليه السلام، حين عَلِمَ بَراءَته، وسنعلمُ في الآيةِ التالية، أنه ليس إلا مثالاً للحالِ الاجتماعيةِ المتردِّيةِ التي آلَ إليها المجتمعُ الفِرعونيُ مِنْ فسادٍ وخِيانة.

اللطيفة الثالثة: في وُقوفِنا على قولِ العزيز: ﴿**إنّ كيدكُنّ عظيم**﴾.

هل هو فقط من بابِ سردِ رأيهِ وقولِه، أَم إنه حُكْمٌ إِلٰهيٌ يُمْكِنُ ٱعتمادُه في معرفةِ حالِ كيدِ النساءِ؟

الكيدُ في اللغةُ الصنيعُ، وفي اللغةِ أيضاً، الحيلةُ والمَكْرُ، ولقد عَلِمْنا أَنه جاءَ في الحديث النبويِّ الشريف، في كثيرٍ مِنَ المواضِعَ، تحذيرٌ مِنْ فِتنةِ النِّساءِ وكيدِ النِّساءِ وهذا ما لا يَخْفَى على عاقلٍ من خصوصيةِ النساءِ فيما جُبِلْنَ عليه مِنْ قدراتٍ ذهنيةٍ مَرِنة، في مقابلِ غَلَبَةِ الرِجالِ عليهن بالقوةِ البدنية.

المدهشُ في الأَمر، أنَّ الأبحاثَ العِلميةَ العصريَة الدقيقة، التي أَفادَتْ مِنَ الفتحِ العلميِّ الحديث، في تَتَبُّعِ المسالِكِ العصبيةِ في الدماغ، أَظهرتْ فُروقاً، واضحةً في اتجاهِ الإِشاراتِ العصبيةِ عندَ الرجلِ والمرأة: ففي حينِ تتجهُ أكثرُ الإِشاراتِ لدى الرجلِ إلى الفص الأَماميِّ مِنَ الدماغ، قبلَ ٱنتقالِها إلى أَماكنَ أُخرى، تتجهُ الإِشاراتُ لدى المرأةُ نزولاً باتجاهِ أسفلِ الدماغ، حيثُ مرَاكزُ الاَنفعالاتِ والعواطِفِ، قَبْلَ أَنْ تتوزّعَ إلى المناطقِ الأُخرى مِنَ الدماغ، ممّا يُشيرُ إلى أَنّ المرأةَ في الأَصلِ عاطفية، ثم هي عَقلانيةٌ بعدَ ذلك، في حينِ أَنّ الرجلَ عقلانيٌ في الأَصل، ثم هو عاطفيٌ بعد ذلك.

وهذه المسألةُ، مَع الفتحِ العِلميِّ الجديد، تَحتاجُ لأَنْ تُعارَضَ معَ نُصوصِ الشّرْعِ مِنْ كتابٍ وسنة، لما يُمْكِنُ أَنْ تَكْشِفَهُ مِنْ طُرقِ وَسْوَسةِ الشيطانِ للإِنسانِ، ومعرفةُ مكامنِ تَدَخُّلِه وأَينَ يَقْبَعُ مِنْ تفكيرِ الإِنسانِ مما يَسْمحُ لنا أَنْ نُقاوِمَهُ بفَعَاليّةٍ أكْبر.

* * *

مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية.

١ - للدلالة على الحالة النفسية للمرأة حين يتملكها الغضب أو تريد الحصول على مسألة ما بالحيلة والحنكة، وذلك تدليلاً على أنها تملك من الخصائص والمقومات الخاصة بها والتي لا يملكها الرجل فيمكن القول: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم.

٢ - للتدليل على وجود فروقات تكوينية بين الرجل والمرأة، في معرض ذكر آيات الفروقات بين الرجال والنساء، ومن بين الفروقات تميز وتفوق المرأة على الرجل في حبك الخطط للحفاظ على مصالحها.

ثم يقول الله تعالى:

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾

[رقم الحلقة على القرص المدمج ٢٤]

نتابعُ معاً أخي المؤمن معَ هذه الآية تتمةَ حُكْم عزيزِ مِصْرَ في مسألةِ تبرئةِ يوسفَ عليه السلام، مِنْ تُهمةِ مُراوَدَةِ زوجتهِ عَنْ نَفْسِها وقد رَمَتْهُ بها، ونحن نَتوقعُ أنْ يكونَ حُكْمُه عادلاً وصارماً، لِما للمسألةِ مِنْ خُطورةٍ على العِرضِ والشَّرَف، ولِما للعزيز مِنْ مكانةٍ تُحَتِّمُ عليه أَنْ يكونَ حُكْمُهُ قُدْوَةً للناس، ولِما للعزيزِ منْ صَلاحِيّاتٍ عاليةٍ في تنفيذِ الأَحكامِ الصادرةِ عنه.

وكنا قد رَأَيْنَا أَنه أَبْدَى ٱهتماماً بالغاً في معرفةِ الحقيقة، فهو لم يُبادِرْ إلى مُعَاقَبةِ يوسفَ عليه السلام، عندما أتُهِم، وإِنْ كانَ قولُ زوجتهِ حاسماً في تخييرهِ بينَ أَنْ يَسْجُنَهُ أو أنْ يُعَذِّبَه عَذاباً أليماً، خِيارانِ لا ثَالثَ لهُمَا ثم إنه ٱستَمع إلى الشاهدِ في تحليلِه، وٱنطلقَ إلى أرضِ الواقع، للتحقُّقِ مِنَ ٱنطباقِ التحليل على حالِ القميصِ وها هوذا قد عَلِمَ وٱسْتَيقَنَ أَنَّ يوسفَ بريءٌ، وأنّ زوجتَه هي المُذْنِبَة، فماذا كان الحُكْم؟

يقولُ الله تعالى في الآية الكريمة على لسان العزيز: ﴿**يوسفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا**﴾.

أي: أعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ هذا، أي: يا يوسف، تَكَتَّمْ عَمَّا حَصَل، ولا تَذْكُرْهُ لأحد.

سبحانَ الله! إننا لَنُدْهَشُ حين نعرفُ أنّ هذه هي الحصيلةُ التي خَرَجَ بها العزيزُ في نِهاية الأَمر، بأَنْ يَطْلُبَ مِنْ يوسفَ عليه السلام، عَدَمَ ذِكْرِ مَا حَصَلَ على مَسْمَعِ النّاس. فبدَلَ أنْ يُثْنِيَ على يوسفَ عليه السلام، نَزاهَتَهُ ورِفْعَةَ أدَبِهِ وعِفّته وحْفَظَهُ لَه، وبدلَ أنْ يُعْلِيَ مِنْ شَأْنِه ويَرْفَعَهُ على الملأ كافةً، ويُظْهِرْ بَراءَتَه ويَحمِلَ الناسَ على الاقتداءِ به، وبدلَ أنْ يَرُدَّ إليه ٱعتبارَهُ بعدَ كلِّ ما تَعَرّضَ له مِنَ التشهير، أو في أدْنَى حدودِ التصرُّف، يُوكِلُ إليه عملاً آخرَ بعيداً عنِ القصرِ وسَيِّدتهِ إذا به يَطْلُبُ منه أنْ يتصرَّفَ وكأَنّ شيئاً لم يَكُنْ.

لكنّ دَهشتَنا تزُولُ حين نُدْرِكُ أَنّ ضَعفَ الشعورِ بالغَيرةِ والذَّوْدِ عنِ العِرْضِ، هي سِمَةُ المجتمعاتِ المُتْرفَة، التي ٱبتعدَتْ عَنْ هُدَى الله تعالى وٱستوطنَها الشيطانُ يَفْرِضُ فيها قواعدَه، ومن بينِ هذه القواعدِ، إستسهالُ الرذيلة، وغَضُّ الطّرْفِ عَنْ فَاعِلِها، والتّهاوُنُ في تأديبِ مُرْتَكِبِها مما يُشَجِّعُ الناسَ على التَّمادِي في إطلاقِ العِنانِ لشهَواتِهم، دونَ حسيبٍ أو رقيب.

وفي الآيةِ الكريمةِ لطائفُ عدة:

اللطيفة الأولى: في ملاحظتِنا لٱبتداءِ الآيةِ بذكْرِ اسمِ يوسفَ عليه السلام في مخاطَبةٍ مباشِرَةٍ مِنَ العزيز، لِطَرَفَي النِّزاع، ثم إغفالِ ذكرِ ٱمرأتِه حين توجَّه بالخطابِ إليها، وهذه مُفارَقَةٌ واضحةٌ في الآيةِ الكريمة، نَفْهَمُ منها ضِمْنياً بعضاً من ردِّ الاعتبارِ ليوسفَ عليه السلام، وإنْ لم يَكُنْ كافياً لإحقاق الحق.

اللطيفة الثانية: في وُقوفِنا عندَ مضمونِ معنىٰ ﴿وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾.

أي ٱطْلُبي الغفرانَ وأَعْلِني النّدَم.

فإذا ما تأمّلْنا حَال امرأةِ العزيزِ بعدَ ٱفتضاحِ أَمرِها، نجدْ أَنّ واقَعها النفسيّ يَزْدَادُ سُوءاً وتأزُّماً معَ تَقدُّمِ سيرِ الأحداث.

فقد بدأ الحدثُ حينَ غلبَتْ عليها عواطفُ الٱنجذابِ نحوَ يوسفَ عليه السلام، وسيَطَرتْ هذه العواطفُ على تَصَرُّفِها مما أعْمَى بصيرتَها ونَسَيتْ موقعَها وأَضاعت ٱتّزانَها.

ثم جُوبِهَتْ برفضِ يوسفَ عليه السلام، الوقوعَ في المعصية، ومحاولتهِ الهروبَ منها، فأُصيبتْ بالهَلع وحاولتْ ثَنْيَهُ عَنْ عَزْمِه.

ثم فُوجئَتْ بوجودِ زوجِها لدى البَاب، فتحوَّلَ الشعورُ لديها إلى غَضبٍ وضِيق، وشعورٍ بالإحصارِ والإرباك، حاولت التخلُّصَ منه بالكَذِب، وٱتهامِ يوسفَ عليه السلامُ ظُلْمَاً وَعُدْواناً.

ثم ظَهَرتِ الحقيقةُ بعدَ تِبْيَانِ الدّليل، وتحوّلتْ منْ مُدعٍ إلى مذنبٍ مُتَلَبِّسٍ بجريمتِه، وفي هذا الموقف، يتَحوَّلُ الشعورُ إلى إحباطٍ وضَعْفٍ تَخُورُ معه القُوى، وتَتَهاوَى الدُّفَاعَات، فإذا ما كانَ الجزاءُ موازِياً لمقدار الجُرم، شَعَرَ مَعهُ المذنبُ بأنه نالَ جَزاءَهُ الذي يَسْتَحِقُّه، مما يُعيدُ التوازنَ المفقودَ لديه، رُغْمَ حُزنه وكُرْهِه لتطبيقِ العُقوبةِ.

أمّا فيما لو لم يَنَلْ جَزاءَهُ بَعْدَ وُضوحِ جُرْمِه، فإنّ هذا يَدْفَعُ النّفْسَ إلى موجاتٍ جديدةٍ منَ الٱضطراب، تَتَراوحُ بينَ القَلقِ والحبُور، يَغلِبُ عليها ٱللاتوازن، بين حديثِ النّفْسِ بالكَفِّ عَنِ التّمادي مِنْ جهةٍ، والإيغال في التّمادِي مِن جهةٍ أُخرى.

والواقعُ أنّ ٱمرأَةَ العزيزِ عاشَتْ حالَةَ الٱضطرابِ العنيفِ هذه، بَعْدَ صُدورِ

حُكْمِ العزيز: فهي مُذنبةٌ لم تَلْقَ جَزاءاً، وأَداةُ الجُرْمِ عُرِفَتْ، وموضوعُ الجُرْمِ موجودٍ وظُروفُ تَكْرَارِ الجُرمِ موجودة، والرّادِعُ الأخلاقيُّ أَو الدينيُّ مَعْدُوم، وما قولُ العزيزِ لها ﴿اسْتَغفِرِي لِذَنْبِك﴾، مِنَ القُوّةِ بمكانٍ حتى تَنثنِيَ عَنِ المحاولةِ ثانية. ولقد فَعَلَتْ كما سَنَرى في لاحقِ الآيات.

مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

١ - للدلالة على أن الترف حين يغلب على قوم. تضعف فيهم المروءة والشهامة، وتختفي موجبات الغيرة والذود عن العرض فتذكر الآية تدليلاً على ضعف الموقف في موقع يستوجب الحسم والعقاب.

٢ - للاستدلال حال حصول ظلم فاضح على متهم بريء رغم وضوح براءته، أن هذا الأمر كثير الحصول والتكرار على مر الأزمان، وأسطع دليل هو حكم عزيز مصر الذي أصدره في هذه الآية.

ثم يقول الله تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

[رقم الحلقة على القرص المدمج: ٢٥]

نصلُ معاً أخي المؤمن، إلى مَشْهدٍ جديدٍ مِنْ مشاهدِ قِصةِ يوسفَ عليه السلام، وقد أُسْدل الستارُ معَ الآيةِ السابقةِ على فَصلٍ حاسمٍ مِنَ المحنةِ القاسيةِ التي تَعرّضَ لها يوسفُ، دونَ أنْ تَلْقَى امرأةُ العزيز أيّ تصرفٍ ماديٍّ حاسمٍ مِنْ قِبَلِ زوجِها، يَرْدَعُها عن التعرُّضِ ليوسفَ عليه السلام، ودونَ أنْ يُبْعدَ يوسفُ عن مَوئِلِ الخطرِ المُحْدِقِ به.

فإذا بالآية موضوعِ تأمُّلِنا، تَنْقُلُنا مباشرةً إلى مجلسِ نسوةِ المدينة، اللواتي يُمْثِّلْنَ المجتمعَ الراقي، واللواتي يُحْسَبُ لأحادِيثِهِنّ وآرائهنّ حِساب، وإذا بموضوعِ حَديثِهِنّ المِحوريِّ، مسألةُ ٱمرأةِ العزيزِ ويوسفَ عليه السلام.

يقولُ الله تعالى: **﴿وقَالَ نِسْوَةٌ في المدينةِ امرأة العزيزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نفسِه﴾**.

في هذا الشطرِ منَ الآيةِ لطائفُ عدة:

اللطيفة الأولى: في وقوفِنا عند مَغزَى تخصيصِ حديثِ النِّسْوةِ، بالإشارةِ إليهن دونَ غيرهِنّ مِنْ بقيةِ الشَّعْب، وحين نسمَعُ أَنّ النسوةَ يتحدثْنَ في المسألة، نعرفُ أنّ كُلّ الناسِ صَارُوا على عِلْمٍ بها، لكنّ الله تعالى شاءَ أنْ يَخْتَصّ حديثَ النِسوةِ بالتثبيتِ في الآيةِ الكريمة ونفهُم من ذلك:

أنّ النساءَ أَقدرُ مِنَ الرجالِ على إدارةِ أَحاديثِ المسائلِ الاجتماعية والأُسْرِيّة، ويَمْلِكْنَ القُدرةَ على التفصيلِ والتمحيص، والاستنتاجِ والتعليق، ويكونُ لاجتماعِهنّ على أَمرٍ من هذا النوع، صدى أبلغُ وأعمقُ مِنْ حديثِ الرجال، الذي غالباً ما يكونُ سطحياً وعابراً، ما يُعَزِّزُ خصوصيةَ كُلٍّ مِنَ الرجالِ والنساء، فيما غَرَسَ الله تعالى في نفوسِهم مِنْ ميولٍ وٱتجاهات.

ونفهمُ أيضاً، أَنَّ نساءَ المجتمعِ الراقي، يتربّصْنَ ببعضِهنّ ويتبعْنَ كلّ خُطوةٍ تَخْطُو بها إِحْداهُنّ لِيَجْعَلْنها أَحاديثَ، وفي هذا ترجمةٌ لخلُوِّ أَذهانِهِنّ من مشاغلِ الحياةِ الجِدِّية، ومن وقوعهنّ في أسرِ المُباهاةِ والتفاخُرِ والتنابذ.

ونفهمُ أيضاً، أنّ المدنيةَ في عصرِ الفراعنة، بلغَتْ شأْواً عالياً يتمثّلُ بالمجالسِ التي تَعْقِدُها النساءُ للتباحُثِ. في أُمورِ حياتِهنّ، وهذا ما صَدّقَتْهُ الاكتشافاتُ الأثريةُ، حيث تَمّ ٱستخراجُ مجالسَ بكاملِها مِنْ باطنِ الأَرض، بعدَ طولِ ٱختفاءٍ وٱندثار.

ونفهمُ أنّ ٱمرأةَ العزيز، تَهْتَمُّ بما يَدورُ في هذا المجلس، وتُعيُره ٱلتفاتاً وٱنتباهاً، على ما سَنَرى في الآيةِ اللاحقة.

إلا أنّ الأهمَ، هو ما نَعْرِفُه مِنْ أنّ الأَمَر كُلّهُ بتقديرٍ منَ الله تعالى الذي شاءَ أنْ يَظْهَرَ هذا الجانبُ مِنْ تطورِ الأَحداثِ، لإطلاعِنا على ما سيكونُ مِنْ أَمرِ هذه المِحنةِ التي تَتوالى فُصولاً على يوسفَ عليه السلام.

اللطيفةُ الثانية: في الصيغةِ التي وردَ فيها فعلُ المراودة: امرأةُ العزيزِ تُراودُ فَتاها، بصيغةِ المضارع، ولم يَرِدْ بصيغةِ الماضي، كقولكِ، ٱمرأةُ العزيزِ رَاوَدَتْ فَتاهاَ عن نفسِه. وكأنّ في ذلك، غمزاً من قناتِها، وكأنها مستمرةٌ في مراودتهِ عن نفسِه.

اللطيفة الثالثة: في جماليةِ التعبيرِ القرآنيِّ، في الإشارة إلى يوسفَ عليه السلام، في الآية، دونَ ذِكْرِ ٱسْمِه، فإذا بهنّ يُسَمِّينَهُ فتاها ولم يَقُلْنَ: خَادِمَها وفي هذا تكريمٌ منهنّ ليوسفَ عليه السلام، في تنزيههِ عن صِفَةِ الخَدَم.

اللطيفة الرابعة: في مَغْزَى نِسْبَتِهِنَّ ليوسفَ عليه السلامَ إلى ٱمرأةِ العزيزِ وليس إلى العزيز، لإظهارِ شِدّةِ جُرْمِها، وبلوغِ ذَنْبِها: للدلالةِ على عدمِ أَهْلِيّتها لامتلاكِ نفسِها في حضرةِ شابٍ عُهِدَ إليها برعايتهِ، فقُلْنَ: ﴿**تُراوِدُ فَتاها**﴾ ولم يَقُلْنَ: تُراوِدُ فتىَ العزيز، أو تَراودُ فَتاهُم.

ثم يقولُ الله تعالى: ﴿**قد شَغَفَها حُباً. إنّا لنَراها في ضلالٍ مبين**﴾.

في هذا الشطرِ منَ الآية، لطائفُ عدة.

اللطيفة الأولى: في وُقوفِنا عندَ ما ذَكَرْتُهُ مِنْ دَرجةِ الحبِّ التي وَصَلَت إليها ٱمرأةُ العزيز:

والمعروفُ أَنّ الحبّ على درجات، وقدْ أتقنَ اللغويون تَفْصِيلَ درجاتهِ على مَراتبَ تصاعديةٍ، نَذْكُرُها كما التالي:

➢فأولُ مراتبهِ الملاحظة، وهي أَنْ يَنْتَبِه المحبُّ إِلى خَصائصَ في المحبوب، تجعلُه يُمِيِّزُهُ عنِ الآخرين، مَا يُثَبِّتُه في ذِهْنِه، ويجعلُ صورتَهُ راسخةً في مخزونِ ذَاكرتِه. ثم يأْتي المَيْل، وهو شعورٌ خفيٌ بالراحةِ، عندَ رؤيةِ المحبوب، أو سماع صوتهِ، دونَ أنْ تكونَ ملاحظةُ هذا الأمرِ مادةَ حالة.

➢ثم تأتي المحبة، وهي درجةٌ أَعلى مِنَ الصداقةِ بقليل، ومُفادُها رغبةُ الخيرِ للمحبوب، والسعادةُ لسعادتهِ، والحزنُ لحزنه، ومُوافَقَةُ المحبوبِ في المشهدِ والمغيب.

➢ثم يأتي الهَوى، وهو آرتفاعُ المحبةِ إلى مستوىً راقٍ، يتوافَقُ مَعَ التصريحِ القلبيِّ الضمنيِّ بالاهتمامِ المخصوصِ بالمحبوب.

➢ثم تأْتي العلاقة، وهي تَعَلُّقُ القلبِ بالمحبوبِ، يدورُ مَعَهُ حَيْثُما دارَ.

➢ثم يأتي الكَلَفُ، وهو شِدَّةُ الحُبِّ مع تَكَبُّدِ المَشقّة.

➢ثم يأتي العِشْقُ، وهو فَرْطُ الحبِّ، مع لُصوقِ القَلْبِ بالمحبوبِ، وفيه إِفراطٌ ومُبالغة.

➢ثم يأتي الشَغْف، وهو آحتراقُ القلبِ وإِمراضُه من شِدَةِ الحب.

➢ثم يأتي الشَغَفْ، وهو حين يبُلغُ الحبُّ مبلغاً يَصِلُ بالمعنى المجَازيِّ إِلى شِغافِ القلب، أي أَغْلِفَتِهِ، بمعنى أنه تَغَلْغَلَ إِلى أعماقِ أعماقِهِ.. وبهذا اللفظ، جاءَتِ الآيةُ الكريمة: ﴿**قد شَغَفَها حُبًّا**﴾.

ثم يَتَدَرّجُ أهلُ اللغةِ في وَصْفِ المراحلِ صعوداً، فيذكُرونَ اللّوْعَةَ واللاعجَ، ثُمَّ الجَوى ثم التَّتيُّم، وهو أنْ يَسْتَعبدَهُ الحب، وهي مراحلُ خطيرةٌ يُخْشَى على المرءِ منها، ثم الوَجْد، وهو الحبُ الذي يَتْبَعُهُ الحُزنُ. ثم الآفتتانُ، ثم الهِيام، وهو أنْ يَذْهَبَ الرجلُ على وَجْهِهِ لغلبةِ الهَوَى عليه، وبينها مراحلُ تَصِلُ عِندَ بعضِهم إِلى خمسينَ مرحلة.

اللطيفة الثانية: في قولِه تعالى، على لسانِ النِّسْوة: **﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**، إِشارةٌ إلى عددٍ منَ الحقائقِ، نُورِدُها كالتالي:

اعتبرتِ النِّسوةُ عملَ ٱمرأةِ العزيزِ عملاً مُشِيناً، وكأنهُنّ يُنَزِّهْنَ أنفسَهُنّ عنِ القيامِ بمثلِ هذا العمل.

ونفهمُ مِنْ الآيةِ أنهن لا يَعْرِفْنَ يوسفَ عليه السلام، ولا يَعْرِفْنَ على أيِّ مستوىً مِن الجمالِ هو.

ونفهمُ أنّ الخبرَ ٱنتشَر في المدينة، بصيغتِه الصحيحة: أي إنّ يوسفَ عليه السلام، بريءٌ، وأنّ ٱمرأةَ العزيزِ هي المذنبة. ولم يَستطعِ العزيزُ أنْ يَحولَ دونَ ٱنتشارِ الخبر، ولم تَستطعْ هي أنْ تُسَوِّقَهُ بالصورةِ المعكوسة.

اللطيفة الثالثة: في قولِه تعالى، على لسانهن: **﴿إِنَّا لَنَرَاهَا﴾**.

وهو تعبيرٌ مجازي للإفادةِ عنِ الرؤيةِ القلبية، وليستِ البَصَرِيّة، وتُستعملُ في اللغةِ العربية، للدلالةِ على ٱستقرارِ اليقينِ لدى القائلِ بصحةِ مَقُولته، وإيرادُها يكونُ أَبْلَغَ في التعبيرِ مِنْ عَدمِه.

مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

١ - للدلالة على أن لا سر يخفي على الناس، وخصوصاً في المسائل التي تتعلق بالشرف والعرض، أو مسائل الروابط العاطفية، وأن موضوع هذه المسائل بحد ذاته، يشكل عامل جذب وتحفيز للناس لتداوله، وبشغف شديد.

٢ - للدلالة على أن خطأ الشخص المشهور، أو المعروف، أو صاحب المكانة المرموقة في المجتمع، أو الذين تسلط عليهم الأضواء، فإن الألسن تضخمه بسرعة شديدة، ويصبح بسرعة فائقة جسيماً، يتلذذ الناس بمداورته فيما بينهم.

ثم يقول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

[رقم الحلقة على القرص المدمج: ٢٦]

تنتقلُ بنا الآيةُ الكريمةُ أخي المؤمن إلى المشهدِ الخامسِ منَ الفصلِ الثالثِ مِنْ قِصةِ يوسفَ عليه السلام، في زَخْمٍ تصويريٍّ بديع، تَصْلُح مَعَه الآيةُ لتكونَ وَحْدَهَا، قِصةً كاملةً زَاخِرةً بالأَحداث، فيها الحركةُ والتفصيل، والتصويرُ لحالِ النفسِ البشرية، وتَقَلُّباتِها في تَفاعُلِها مَع الأحداثِ، وسَنُحاوِلُ ٱستخلاصَ ما جاءَ فيها من قواعدِ علْمِ النفسِ، ما تَيَسَّرَ لنا.

يقولُ الله تعالى: **﴿فلّما سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنّ أَرْسلَتْ إليهن﴾**.

في هذا الشطرِ منَ الآية، لطائفُ عدة:

اللطيفةُ الأولى: في ٱفتتاحِ الآيةِ بكلمةِ **﴿فَلما﴾** وفي هذا ربطٌ مُحْكَمٌ للسِياقِ معَ الآيةِ السابقة، التي ٱفْتَتَحَتْ فَصلاً جديداً، تَوْطِئَةً لِتفاعُلِ حَدَثِ المراودةِ على مستوى المدينةِ بكامِلِها، فنتهيَّأُ بذلك، للتعرُّفِ إلى رَدّةِ فِعلِ ٱمرأةِ العزيز، على ما حَصَلَ مِنْ حديثٍ في المدينةِ بينَ النِّسوة.

اللطيفةُ الثانية: في قولِهِ تعالى **﴿فلمّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنّ﴾** وفي هذا إعلامٌ ضِمنيٌّ لنا، لنوعِ العلاقةِ التي تَسودُ بينَ ٱمرأةِ العزيز، أو السيدةِ الأُولى في المدينة، وبقية نساءِ المدينة، خصوصاً أهلَ الطبقةِ الراقيةِ فيها.

فالمَكْرُ هو الخِداعُ أصلاً، ويأْتي بمعنى الإِخفاء، وهنا جاء بمعنى سوءِ المقَالةِ والاغتياب. ولم يأْتِ التعبيرُ على لسانِها، بل هو لسانُ حَالِها، يُعْلِمُنا بهِ الله تعالى.

وبكلمةٍ واحدةٍ، نفهمُ منها ما يلي:

أَنّ حالَ التوترِ سائدةٌ بينَ الطرفين. والأَسبابُ عديدةٌ تتكررُ في كلِ الأَزمان: فكلُّ واحدةٍ تتمنّى أنْ تكونَ مكانَها، وهي تُريدُ أَنْ تحتفظَ بمكانِها، والإِنسانُ جُبِلَ على مُقارنةِ نفسِه بالآخرين، ومراقبةِ الآخر، إن كانَ خَصْمَه، وتَتَبُّعِ عَثراتِه، ولا يُهَذِّبُ هذه النّوازعَ إلا الدِّينُ القويم.

ونفهمُ أنهُنّ يتربّصْنَ بها، حتى إِذا ما سنَحَتْ لهُنّ الفرصةُ بسَمَاعِهنّ بهفوتِها، تَنادَيْنَ مُسْرِعاتٍ مجتمعاتٍ للائتمارِ بها، لمنعِ ٱندثارِ أَخبارِ الحدثِ من جهةٍ أُولى، ولإِشفاءِ غليلِهنّ بالتشَفيِّ بالحديثِ في مادةٍ خِصْبَةٍ من جهة ثانية وهي فرصةٌ لا تُسْنَحُ كلّ يَوم.

ونفهمُ أَنها تَهْتَمُّ لِسَمَاعِ ما تقولُ النُّسْوة وتتفاعلُ معه: فهي لم تُهْمِلْ خبرَ ٱجْتَماعِهنّ، بل أَوْلَتْهُ أَبلغَ عنايةٍ. وسنعلَمُ أنه أَجَّجَ غَضَبَها ودَفَعها إِلى إِعمالِ فكرِها مِنْ جديد.

اللطيفة الثالثة: في قولِه تعالى: **﴿أَرْسَلَتْ إِلَيهن﴾**.

إِشارةٌ ضِمنيةٌ أُخرى، للتعبيرِ عن تَفَاعُلها السريعِ بصورةٍ إِيجابية، مَعَ خبرِ ٱجتماعِهن، وقد كانَ بإِمكانِها أنْ تَتَفَاعَلَ سَلْباً، بأنْ تنطويَ على نفسِها، وتَمْتنِعُ عنِ التواصُلِ مَعَهُنّ، بل أَنْ تَمْنَعُهنّ مِنَ المجيءِ إِليها، وهي ذاتُ سُلْطةٍ ومكانةٍ بإِمكانِها ٱستعمالُها.

إلا أنها عادَتْ لٱستعمالِ ذكائِها القويِّ جداً، وسُرعةِ بديهتها، وحضورِ ذِهنِها، مُضيفةً إِليها هِمَّةً عاليةً بالمجابهةِ والتحدِّي، دونَ تَسَرُّعٍ أوِ ٱنفعال، بل بهدوءٍ وتخطيط، وهذه صفاتٌ لا يَتمّتعُ بها كثيرٌ من الناس: التدبيرُ والتخطيطُ المُحْكَمُ، معَ ضبطِ الأَعصاب.

فهي لم تُظْهِرِ العَدَاءَ لهُنّ، رُغْمَ شِدّةِ غَضَبِها عليهن، لضمانِ تَنْفيذِ خُطّتِها، وذلك بٱستدارجهنّ إلى حيثُ تُريد، فكانَ أَنْ أَرْسَلَتْ إليهنّ.

اللطيفة الرابعة: في قولِه تعالى: ﴿**أَرْسَلَتْ إليهن**﴾.

لقد ٱنتهى الإعلامُ حولَ هذا الأمرِ بهاتينِ الكلمتين.

من جديد، نَجِدُ أنّ النّصّ القرآنيّ يَسْمَحُ لنا بإيجازِه، بالتدخُّلِ الشخصيّ لربطِ الأَحداث، فجاءَتِ العِبارةُ عامةً، تَحْمِلُ فَوْرَ سَمَاعِها أو قِراءَتها، إحتمالاتِ عدّة، دون جَزْم:

- فقد تكونُ أَرْسَلَتْ إليهن دعوةً لزيارةِ تَسَامُرٍ وَتَنادُمٍ عادية.
- وقد تكونُ أرْسَلَتْ إليهنّ كِتابَ عِتاب.
- وقد تكونُ أرسَلَتْ إليهنّ أُعطيةً لكفِّ أَلْسِنَتِهِنّ عنها.

وتَعَدُّدُ الٱحتمالاتِ دونَ جوابٍ مباشر، يحفِّزُنَا على الٱنشدادِ لمتابعةِ سيرِ أحداثِ القصة. فإذا بتتمةِ الآيةِ تُوَجِّهُنا إلى تثبيتِ الٱحتمالِ الأول وهو أنها أَرْسَلَتْ إليهنّ تدعوهن. وإلغاءِ الٱحتمالاتِ الأُخرى، في حركةٍ سريعةٍ جداً لا تَتَجاوَزُ جُزْءاً مِنَ الثانية، تَتَكَرّرُ مَعَنا آلافَ المرات، في حياتِنا اليومية، بينَ نصبِ الٱحتمالات، والٱختيارِ بينَها، وتثبيتِ أَفْضَلِها، وإقصاءِ الأُخرى. وهذه العمليةُ هي في الحقيقة، رَمْزُ الوعي والإدراكِ عِنْدَنا.

ثم يقولُ الله تعالى: ﴿**وأَعْتَدَتْ لَهُنّ مُتَّكأً**﴾.

في هذا الشّطْرِ منَ الآية، تنفيذٌ للمرحلةِ الثانيةِ مِنْ خُطةِ ٱمرأةِ العزيزِ، فإذا بنا نفهم:

أَنّ الدعوةَ في ظاهرِها مُسَالِمة، بل وُديةٌ تَقَرُّبِيّة.

وأَنّ النّسْوةَ لَبّيْنَ الدّعْوَةَ، رُغْمَ ما قد يَعْتَرِينا مِنَ ٱستغراب: هُنّ يتحدّثْنَ عنها

بالسُّوء، فإذا بها تَدْعُوهُنّ لزيارةٍ وُدِّية. الدعوةُ مُسْتَغْرَبة، وتلبيتُها أيضاً مُسْتَغْرَبة. لكننا نُذْرِكُ أنّ فِطْنَةَ وذَكاءَ ٱمرأةِ العزيز، بالإضافةِ إلى مكانتِها السُلْطَوية، تُحَوِّلُ الدعوةَ إلى أمرٍ بالحضورِ، ونفهمُ مِنْ تعبيرِ القرآن بإعدادِ المُتّكَأ، أنها ٱتخَذَتْ إجراءً ٱستثنائياً لأجلِ إطالةِ أمرِ الزيارة، وذلك بالقيامِ بالأعمالِ الماديةِ الدالةِ على وُجوبِ الجلوسِ، مَعَ تحضيرِ النفسِ على المُكُوث، وهذه بعضٌ مِنْ أدواتِ الحربِ النفسيةِ الخفية، غير المُعْلَنَة، التي يَعتمِدُها الحَاذِقُ كَعُنْصرٍ مِنْ عَناصِرِ خُطّتِه، للوصولِ إلى هُدْنَةٍ بمساعدةِ خَصْمِه، بما يكونُ قد تَحَضرَ في نفسِه منْ شُعورٍ بالطُّمأْنينة، أو الاستسلام، أو الثقةِ أو الٱنبهارِ أوِ الخَشْية.

والتاريخُ زاخرٌ بالأَمْثِلَة، كحال الملوكِ الذين يَضَعُونَ مجالسَهم في نهايةِ مسارٍ طويلٍ زاخرٍ بالأعاجيبِ والفنون، يَسيرُ فيه الزائرُ فتمتلىءُ نفسُه بالرّهْبَةِ والٱنبهار، حتى إذا ما وَصَل إلى المَلْكِ، كانَتْ صورتُه في نفسِه مُتَضَخِّمَةً مُسْتَرْهَبَة.

أو كمثلِ حالِ رجلِ الأعمالِ الذي يُعْلِي مكتبَه وكُرسِيّه، ويُخْفِضُ كرسيّ الجالس قُبالَتَه، بهدفِ التأثيرِ النفسيِّ عليه، لإشعارِهِ بالدُّونِيّة، والأمثلة مِنْ واقعِ الحياةِ كَثيرة.

أمّا ما فعلتْهُ ٱمرأةُ العزيزِ مِنَ المؤثراتِ النفسية:

فهي أنها دَعتِ النِّسْوَةَ في حَمْأَةِ حديثهنَّ السيىءِ عنها.

وجعلتْ لكلِ واحدةٍ منهن مجلساً وثيراً، تَضَعُ فيه مَخَاوِفَها وشُكُوكَها في نوايا سيدةِ القَصْرِ حِيالَها.

مما يُشْعِرُها بالطُمأْنينة، وتصبحُ أكْثَر قابليةً لٱستيعابِ الحدثِ اللاحِقِ، كما خطّطَتِ ٱمرأةُ العزيز.

بل تُصْبح على استعدادٍ للتعاطُفِ بعدَ نَبْذِ الكيدِ والمَكْرِ الذي سَمِعْنَا به في أولِ الآيةِ.

فتنقلبُ بذلك المشاعرُ من عَداءٍ، وتَوَجُّسٍ وشكوكٍ، إلى تَسامُحٍ، فتَعاطُفٍ فٱنحياز.

ولا يُفوتُنا أَنْ نُشَير إلى أَنّ الاتكاءَ بحدِ ذاتِه، في غير حالةِ الٱسترخاءِ المطلوبِ للراحةِ منْ أثرِ التعبِ والعَناءِ، أو التحضيرِ للنومِ مثلاً، وفي غيرِ خصوصيةِ الإنسان في مَهْجَعِه، إنَّ الاتكاءَ عند الأكل مذمومٌ في الشرعِ، لأنه مِنْ عادةِ المُتْرَفِين والمتكبرين، ولذلك نُهِيَ عنه، فقد أَخرجَ ابنُ أبي شَيْبَةَ عَنْ جابرٍ رضي الله تعالى عنه عن النبيِّ ﷺ، أنه نَهىَ أنْ يأكلَ الرجلُ بشِمَالِهِ وأنْ يأكلَ مُتّكِئاً.

[رقم الحلقة على القرص المدمج ٢٧]

ثم يقولُ الله تعالى: ﴿وآتتْ كُلّ واحدةٍ مِنهنَّ سِكِّيناً﴾.

في هذا الشطرِ منَ الآية، لطائفُ عدة:

اللطيفة الأولى: في إظهارِ الأَهم، وإخفاءِ مَا لا يَهُمُّ القارىءَ والمستمعَ معرفتهُ، مما أعْطتُهنّ مَعَ السّكَاكِين، ففي مثلِ هذه الٱجتماعات، يُقَدَّمُ طعامٌ أو شَرابٌ.

ولعلّها قَدّمَتْ لهنّ فاكهةً، أو طعاماً يَحتاجُ وجودَ السِّكِّين لِتقطيعِه، في حين أن الواحدَ منا يرى أن الأهمَّ فيما يقدَّمُ إليه حَبَّةُ الفاكهةِ، حيث يُلْقِي بٱهتمامهِ وتركيزِه عليها، ويكونُ وجودُ السكينِ ثانوياً، لا يُلْقِي إليه بالاً، وكأنه تحصيلُ حَاصِل، جاءتِ الآيةُ الكريمةُ بصيغتِها، لِتَقْلُبَ معادلةَ الٱهتماماتِ في أسماعِنا وأَنظارِنا، تحضيراً لما سيكونُ مِنهُنّ في لاحقِ الآيات.

اللطيفة الثانية: في ٱستمرارِ تَتَبُّعِنا لٱمرأة العزيزِ في خُطّتِها، وتأَمُّلِنا لقوةِ ذَكائِها وفَهمها العميقِ لأَحوالِ النفسِ الإنسانية، فنفهمُ في هذا البند منْ خُطتها:

أَنها جَعلتْ منْ وُجودِ السّكاكينَ في أَيدي النّسوة، هدفاً في هذه المرحلة مِنَ الخُطّة، فأَعْمَلتْ مبدأ التورية، بأنْ قَدّمَتْ لهُنّ طعاماً لا يُؤْكَلُ إلا بآستعمالِ السكين، ما يجعلُ وجودَه مُبَرّراً دونَ إثارةِ الشكوك.

ونفهمُ أَنها رَمَتْ من خلالِ وَضْعِ السكاكين بينَ أيديهن، إلى تحويلِ الواقعةِ المُنْتَظَرةِ، إثْرَ ظُهورِ يوسفَ عليه السلام، وخُروجِهِ عليهنّ إلى واقعٍ ماديٍّ ملموس، يَصْعُبُ عليهنّ إنكارُه لاحقاً، ويُثْبِتُ تأثُرهُنّ الجَماعيّ بما تأَثّرَتْ به منفردة.

ونفهمُ أنها واثقةٌ تمامَ الثِقة، بما ستكونُ عليه رَدّةُ فِعلهِنّ عِنْدَ رُؤْيةِ يوسفَ عليه السلام، ومَعْرفتُها بتأثيرِ الآنبهار على الأَفعالِ، وضَياعِ الرُّشْدِ حالَ الانبهار.

اللطيفة الثالثة: في ملاحظةِ الآنتقالِ من العامِ إلى الخاص، في تَدرُّجٍ تَصْويريٍّ بديع: فهي أَرْسَلَتْ إليهن: الصورةُ عامة؛ ثم أَعْتَدَتْ لهُنَّ مُتّكأ: هنا أيضاً: الصورةُ عامة: ثم آتتَ كُلَّ واحدةٍ مِنْهُنّ سِكّيناً: الصورةُ خاصةٌ بكلِ واحدةٍ منهن، وهذا مُنْتَهى التصوير، لأنه بعد ذلك، سنعودُ إلى العامِّ فيما يلي مِنَ الآية.

ثم يقولُ الله تعالى: **﴿وقالتَ آخْرُجْ عليهِن فلمّا رأَيْنَهُ أكْبَرْنَهُ وقَطّعْنَ أَيدِيَهُنّ وقُلْنَ حَاشَ لله ما هذا بَشَراً إنْ هذا إلاّ مَلَكٌ كريم﴾**.

في هذا الشّطْرِ منَ الآية، لطائفُ عدة.

اللطيفة الأولى: في بلوغ التهيئةِ النفسيةِ أَقْصَاها، عندما وَصَلتْ إلى المرحلةِ الأخيرة مِنْ خُطّتِها بأَن قالتِ: آخْرُجْ عَليهنّ. ففي هذا اللحظة، كانَتْ هي في أَعْلَى درجاتِ الآنفعال لأنها بذلت جُهداً كبيراً في إعدادِ الخُطة، ثُم في تنفيذها، ثم في ضَبْطِ أَعصابِها وإخفائه حتى آستكمالِ كافةِ المراحلِ الأُولى. وعند خروجهِ عليهن، انتهى دورُها في الحَشْدِ العاطفي، وبدأتْ نفسُها بالعودةِ

التدريجيةِ إلى الهدوء. العكسُ في ذلك، حَصَلَ مَعَ النِّسْوةِ اللواتي كُنّ في حالِ ٱسترخاءٍ وهدوءٍ إلى أنْ خَرَجَ عليهِنّ يوسفُ عليه السلام بِطَلّةٍ بهية، وجمالٍ فائقٍ أَخّاذ، فإذا بهنّ مجتمعات، يتفاعَلْنَ مَعَ الحَدَث، ويتبدّلُ الهدوءُ لديهنَ ٱنفعالاً وتوتراً، يَصِلُ إلى حَدِّ الإرباك.

وما أَسْرَعَ ما تتبدَّلُ الحالُ العَاطِفيةُ عندَ الإنسان، من هدوءٍ إلى ٱنفعالٍ وهياج، ومنْ سَكينةٍ وَوَقار، إلى حركةٍ ونَشاط.

اللطيفة الثانية: في وقوفِنا عندَ مَجْرياتِ الحدثِ بدِقة:

فالنِّسوةُ لا يَعْرِفْنَ يوسفَ عليه السلام، ولم يَرَيْنَهُ أَبداً، ولم يَسْمَعْنَ بتأثيرِه الأَخّاذِ على مَنْ يَراه، فهي لا تُظْهِرهُ على الملأ.

والمعتادُ في مثلِ هذه الاجتماعات، أَنْ يدور الخَدَمُ على الزائرين لخِدْمتهم، دونَ أَنْ يلتفتَ الزائرُ إلى شخصِ الخادمِ الذي يَبْقَى وَجْهُهُ مُبْهَماً، حتى وإنْ رآهُ الزائر، فإنه يَمْحُوهُ مِنْ ذَاكرتِه مباشرة.

إلا أنه في وَضْعِ يوسفَ عليه السلام، لم يَكُنْ مرورُه حَدَثاً عابراً، بل إنّ مجردَ ظهورِهِ أَصْبَحَ الحدَث كُلَّه: فانتهتْ كلُّ الانْشغالاتِ والأَحاديثِ الجانبيةِ، الهامةِ والهامشِية، وٱنتَهى الاهتمامُ بالطعام، فأَخذَ الألبابَ، وسرقَ الأنظار، واذْهَبَ العقولُ، وأرْخَى الذُّهول.

وهذا الأَمر حدثَ معَ كلِّ النِّسوة، مما يؤكِّدُ الإجماعَ على أَنّ تأثيرَه على الحاضراتِ كان مُوازِياً ليقينِ ٱمرأةِ العزيزِ بحُصولِ هذا الأَثَر.

اللطيفة الثالثة: في وُقوفنا عندَ قولِ الله تعالى: ﴿**وَقَطَّعْنَ أَيدِيَهن**﴾.

وفي هذا إشارةٌ إلى حالٍ من أَحوالِ العقلِ البشريِّ في أَدائه لمهامِّه:

فإنّ العقلَ حالَ اليَقَظةِ والحضور، يكونُ مُسيطراً على كلِّ الحركاتِ

والأفعالِ والأقوال، التي تَصْدُرُ عنِ الجسم، ويُوافِقُ على صدورِ ما يَراهُ مُناسباً، لحفظِ الجسم، وحِفْظِ الحياة، والمحافظة على الآنضباطِ ومُراعاةِ أَحكامِ تَعامُلِ الناسِ فيما بينهم، والخضوعِ لضوابطِ المجتمع، والآنتباهِ للأعراف والتقاليد، والظهورِ إلى العلن بمظهرٍ يتوافقُ مَعَ السلوكِ العامِ للمجموعةِ البشرية، التي ينتمي إليها، وفي حالِ ثَباتِ الإيمان، الخضوعَ لأحكامِ الشرعِ في الأوامرِ والنواهي، وملاحظةِ الحلالِ والحرام، ومُقاربةِ الخيرِ وآجتنابِ الشر.

ويَمُرُّ العَقْلُ أحياناً بحالاتٍ يَذْهَلُ فيها عَنْ هذه الضوابط، دون أن تفارقه حَالَ اليَقَظَةِ والحضور، خصوصاً عندَ الدهشةِ والآنبهار، فيصيبُه نوعٌ مِنَ الجمودِ والآرتباك، حتى درجة الشَلَلِ المؤقّت، فلا يَعودُ مالكاً لكلِ حركةٍ أو سَكنَة، ويمكنُ للمراكزِ العصبيةِ السُفْلى أَنْ تتفلّتَ مِنْ سيطرتِه فتأمَر الأَطرافَ بأَوامرَ قد لا تكونُ خاضعةً لما ذَكَرْنا سابقاً مِنْ ضوابطِ الحفظِ والمراعاة.

وهذا ما حَصَل معَ النِّسْوةِ حين رَأَيْنَ يوسفَ عليه السلام: تاهتِ العقول حينَ أَخذَها جَمَالُه وبهاؤُه، فأَعملَتْ أَيْدِيهِنّ والسكاكينُ فيها تجريحاً بكلِ ما وَصَلَتْ إليه بما فيها أَيديهِن.

اللطيفة الرابعة: في إعلامِنا بمعرفةِ المجتمعِ الفرعوني، زَمَنَ يوسفَ عليه السلام، بالله جَلّ جلالُه، ومعرفتِهِ بوجوده، ووجودِ الملائكة. إلا أنه لم يَكُنْ مجتمعاً مؤمناً مُوَحِّداً بالله عزّ وجل، على مَا سَنَرى في لاحقِ الآياتِ مِنْ دعوةِ يوسفَ عليه السلام، لمُسَاكِنَيه إلى عبادةِ الله الواحِد الأحد.

اللطيفة الخامسة: في صيغةِ المبالغة التي تَجلّتْ في أَبلغِ صورِها في كيفيةِ آجتهادِ النِّسْوةِ في وصفِ جمالِ يوسفَ عليه السلام. فلم تَقُلِ النِّسْوةِ: إنه جميلٌ..

بل لم يَقُلن: إنه أجملُ ما رأتْ أعينُنا، بل تجاوزن الحقيقةِ إلى المجَاز، وخَلطن الحاضرَ بالخيال، فقلن: **﴿ما هذا بَشَراً إنْ هذا إلا مَلَكٌ كريم﴾**.

مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

١ - للدلالة على إستعار حالة الصراع بين النسوة حال نشوبها مع اعتماد كل وسائل المجابهة والدفاع، سواء الذهنية، أو العقلية، أو العاطفية، أو الكلامية، أو العملية الفعلية.

٢ - للدلالة على أن المرأة سريعة الغضب، سريعة الأنفعال وسريعة التصرف، إذا ما عقدت العزم على أمرٍ، فأنها لا تتوانى عن الإسراع في تنفيذه.

٣ - للدلالة على سرعة بديهة المرأة وقدرتها على الحكم على الأمور وإنزالها منازلها الصحيحة، وذلك بالإشارة إلى اعترافهن بقوة تأثير جمال يوسف عليه السلام على امرأة العزيز.

ثم يقول الله تعالى:

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

[رقم الحلقة على القرص المدمج ٢٨]

نصلُ معاً أخي المؤمن مَعَ هذه الآية إلى الأعترافِ الصريح الكاملِ منِ أمرأةِ العزيز بما كان مِنْها مِن مُراوَدَةِ يوسفَ عليه السلام عن نفسِه، وذلك بتصريح علني على مَسْمَعِ الملأ، إلا أنها ما أَدْلَتْ بأعترافِها توبةً وندماً وأستغفاراً، بل لتُعْلِنَ عَنْ إصرارِها ومُثَابَرتِها على المراوَدَةِ، بعد أَنْ أَوقعتِ النِّسوةَ فيما نَصَبَتْ لهنّ مِنْ فخِ الذُّهولِ والأنبهارِ بجمالِ يوسفَ عليه السلام، وثَبَّتَتْ عليهِنّ ذلكَ بالدليلِ الماديِّ بأَذِيتِهِنّ لأنفسِهنّ بالسكاكين، وجَعلتْ منهنّ، طائعاتٍ أو مجبرات، سنداً لها في مَطْلَبِها.

يقولُ الله تعالى: **﴿قالتْ فَذلِكُنَّ الذي لمتنني فيه﴾**.

في هذا الشَّطْرِ منَ الآيةِ، لطائفُ عدة.

اللطيفة الأوَلى: في كلمةِ ﴿فذلِكُنّ﴾، وهي تُستعملُ أصلاً للإشارةِ للبعيد، إلا أنها تستعملُ أيضاً للقريبِ حالَ التعظيمِ والتمجيد، كمثِلِ قولك: ذلك البطلُ العتيد، وهو أَمَامَك.

نشيرُ إلى هذه اللطيفة في بداية الآية، لكي نصلَ إلى حقيقةِ شعورِ امرأةِ العزيزِ حِيالَ يوسف عليه السلام في هذه اللحظات: فبعدَ تصاعُدِ حُبِّها له، ووصولهِ الذُّروةَ حينَ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِه، وبعدَ انْطِفاءِ وَهْجِهِ عندَ المواجهةِ أمامَ زوجها، وبعدَ تَخاذُلِ العزيزِ عنِ اتخاذِ إجراءٍ فوريٍّ حَاسِمٍ لتأديبها، مِمّا شَجَّعَها على الاستمرارِ في طريقِ الميلِ إلى يوسفَ وطلبه، ها هي ذي في هذه الآية، تعودُ فيتصاعدُ شُعورُها بالانجذابِ نحوَ يوسفَ عليه السلام، فتبدأُ حديثَها بإعلاءِ شَأنه أمامَهُنّ بقولِها: ﴿فذلِكُنّ الذي لمتنني فيه﴾.

اللطيفة الثانية: في وُقوفِنا على مَدْلُولاتِ قولِها: ﴿فذلكُنّ الذي لمتنني فيه﴾ وكأنّها تقول: الآن وقد مَلّكْتُنَّنِي الدليلَ الماديّ على تَأثركُنّ بجمالهِ ووقوعِكُنْ تحتَ تأثيرِ حُسْنِه، فلقد أَعطيتُنّني صَكَّ البراءة، وأَثبتُنَّ أَنّ كُلّ واحدةٍ منكنّ لو كانَتْ مكاني، لكانَتْ فَعَلْت مِثلي، فأيُّ فضلٍ لكُنَ عليّ؟ وما لزومُ مجالسِكُنَّ للتشهيرِ بي؟ وقد فعلتنّ أَشَدّ مِمّا فَعَلْت: فإنّ مجردَ رؤيتُكِنّ له مرةً واحدةٍ، أَذهَبَتْ عُقولَكُنّ، فآذيتُنّ أنفسَكُنَّ بالسَكاكين، فكيفَ بمن تَراهُ كلّ يومٍ وفي كلِّ ساعة؟

اللطيفة الثالثة: فيما نرى مِنْ تَحَوُّلٍ في موقفِها عمّا كانَتْ عليه حينَ دافعت عن نفسها أَمامَ زَوْجِها عندَ الباب: فهناك كانتْ تُحاولُ تبرئةَ نفسِها بالتنزُّهِ عنِ المراودةِ وإِظهارِ يوسفَ عليه السلام، بصورةٍ مقيتةٍ مكروهةٍ بأنه هو الذي أَرادَ بها سوءاً.

أمّا هنا، فهي تحاولُ تبرئةَ نفسِها بإثباتِ المراودة، وذلك بٱلتماسِ العُذرِ بحتميةِ حصولِ المراودةِ، على مسمعٍ منَ النساءِ، وفي مجتمعِ النساءِ، وبالمقابل، إظهارِ يوسَف عليه السلام، بصورةٍ حسنةٍ وعالية، وكأنها تتباهَى به أَمامَ النِساء، أَنه حُظْوَتُها وَتحْتَ إِمْرَتِها.

ثم يقولُ الله تعالى على لسانِ ٱمرأةِ العزيز: **﴿ولقد راوَدْتُه عَنْ نفسِه فٱستعصم﴾**.

في هذا الشطرِ منَ الآية، لطائفُ عدة:

اللطيفة الأولى: في ٱبتداءِ العبارةِ بكلمة **﴿ولقد﴾** وفيه تأكيدٌ جازمٌ على حصولِ المراودةِ منها، وٱعترافٌ صريحٌ دونَ خَشْيَة، بل بَصلفٍ وإِصرارٍ، نُسَمِّيه في لُغَتِنا وَقَاحَة، بأنها كانَتْ داعيةً إِلى الفَاحِشة.

اللطيفة الثانية: في ملاحظتِنا لظهورِ معالمَ جديدةٍ في نفسيةِ ٱمرأةِ العزيز: فبعد الذي عَهِدْناه فيها منْ ذكاءٍ وحُنْكةٍ وتخطيط، نراها في هذه الآية، تَفْقِدُ صَبْرَها وحِذْرَهَا، وتَعترِفُ أَمامَ جمعٍ منَ النساءِ تَعْرِفُ من قَبْلُ أَنهُنَّ يَتَربَّصْنَ بها، وأَن كُلّ واحدةٍ منهن قد تكونُ شاهداً عليها لاحقاً، فيما يُشْبِهُ الٱنهيارَ الكاملَ في دفاعها، في ظِلِّ تَصاعُدِ تَعَلُّقِها بيوسفَ عليه السلام، من جديد، وهي توشِكُ أنْ تَصِلَ للمرةِ الثانيةِ إِلى مرحلةِ اللارجوع ذاتِها في المراودة، ولكنْ هذه المرة، دونَ حذر، ومن غيرِ إِغلاقِ أَبواب، وعلى مرآىَ ومسمعِ جَمْعٍ غفيرٍ مِن النِّساء.

اللطيفة الثالثة: لغوية، في سَماعِنا لكلمةِ: **﴿فٱسْتَعْصِم﴾**.

أي: طلبَ العِصمَة وتَمسُّكَ بها وعَصَاني، والٱستعصامُ بناءُ مُبالغة، يَدُلُّ على الٱمتناعِ البليغِ والتحفُّظِ الشديد، وكأنها تقصدُ القول: لقد مانَعَ مُمَانعةً شديدة.

والحقيقةُ أنّ مُمَانَعَتُهُ كانَتْ على مستويين: قولي عندما قال: معاذَ الله. وفعلي، عندما فَرَّ منها بٱتجاهِ الباب.

ثم يقولُ الله تعالى على لسانِ ٱمرأةِ العزيزِ: ﴿**ولئن لم يَفْعَلْ ما آمرُهُ ليُسْجَنَنَّ وليكونا مِنَ الصّاغِرين**﴾.

في هذا الشَطْرِ الأَخيرِ منَ الآية، لطائفُ عدة:

اللطيفة الأولى: في تصاعدِ الوتيرةِ بصورةٍ تدريجية، في كلامِ ٱمرأةِ العزيز، مما يُتَرْجِمُ تصاعُدَ الحالِ النفسيةِ لديها، حتى بلوغِ الذُّورة، فقد بدأَتْ كلامَها في الآيةِ الكريمةِ على وتيرةٍ هادئة، ولكنْ واثقةٌ مطمئنةٌ، حين أوجَدَتْ لنفسِها العُذْرَ في حُبِّها ليوسفَ عليه السلام، ثم تَصاعَدَت هذه الوتيرة عند ٱعترافِها العَلنيِّ بمراودتِه مُترافقةً مَعَ تنامي شعورِها بالٱنجذابِ من جديدٍ نحو يوسفَ عليه السلام، وصولاً إلى التهديدِ ليوسفَ في حالِ عدمِ الٱنصياعِ، بعد أن بَلَغَتْ مُستوى الإغلاقِ المُطْبِق، إذْ لم تَعُدْ ترَى بعينَيْها ولا أَمامَ-نَاظِرَيْها إلا تلبيةَ رَغَباتِها.

اللطيفة الثانية: في وقوفِنا عندَ كلمةِ: ﴿**لَيُسْجَنَنّ**﴾

إننا نفهمُ توعُدَها له بالسَجنِ فيما لو كانَ مذنباً، أو فيما لو ثَبَتَتْ عليه تُهْمَةٌ حتى ولو كانَ برئياً.

أمّا أنْ تعترِفَ بلسانِها أنها هي المُذْنبةِ، ثم تَدْعوَهُ إلى المعصيةِ وتُهَدِّدَهُ بالسَجنِ في حالِ رَفْضِه، فإنه الذُّروةُ في الظُّلم.

وغريبٌ جداً أنْ نَسْمَعَ منها تهديداً بالسجن. فالذي يَسْجُنُ هو سَيِّدُها، وكأنها تقولُ له: لئن لم تأتِ بالفاحشةِ معي، فيسجُنُكَ زوجي؟! أيُ ٱنحدارٍ هذا الذي وصلَتْ إليه.

اللطيفة الثالثة: في وقوفِنا عندَ مقارنةِ حالِها يومَ حادثةِ القَصْر، وحالَها في هذه الآية.

ففي الحالةِ الأُولى: تجمَّلت وتهيّأَتْ وتودّدَتْ وَدَعتْهُ بعدَ ذلك إلى نفسِها منتظرةً منه التجاوُبَ، فما نالتْ منه شيئاً.

وفي الحالةِ الثانية: لم تتهيأْ، ولم تتودَّدْ، بل لم تلتفِتْ إلى ٱحتمالِ تجاوُبِهِ أو عَدَمِهِ، وقامَتْ بتوجيهِ الأوامرِ السُلْطَوِيّةِ العُليا إليه، ثم قامَتْ بتهديدِه.

اللطيفة الرابعة: في ٱستكمالِ المقارنةِ بينَ أَقْوالِها في الموقفين:

ففي الموقفِ الأول: حين كانَتْ موضَع الإرباكِ والتبريرِ بينَ يدي العزيزِ قالت: ﴿**إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أو عَذابٌ أليم**﴾[1].

وفي الموقفِ الثاني: قالت: ﴿**ليُسْجَنَنّ وليكونا مِنَ الصّاغِرين**﴾.

فنجدُ أنَّ الموقفَ الأولَ كان أَخَفّ وَطْأَةً، رُغْمَ أَنها كانت لا تزالُ في موقعِ المدِّعي القوي، فقد قَدّمَتْ خِيارَين، أمّا في الموقفِ الثاني، فٱستعملتْ صيغةَ الدمجِ بينَ العقوبات، والتأكيدِ عليها مِنْ طريقين:

الأول: بإدخالِ نونِ التوكيد.

الثاني: بإثقالِ النونِ في السَجنِ بقولها: ﴿**ليُسْجَنَنّ**﴾.

وفي هذا ٱستمرارٌ للحربِ النفسيةِ التي تَشُنُّها على يوسفَ عليه السلام عسى أنْ يَضْعُفَ، ويُعطيَ تحتَ التهديد، ما لم يُعْطِ تَحتَ الإغراء.

---

(١) [سورة يوسف، الآية: ٢٥].

مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

١ - للدلالة على أن الصالح في ذاته، المسالم المتجنب للمشاكل، ليس بمنأى على لحاق المشاكل به، تلبساً وافتراء.

٢ - للدلالة على جرأة الإنسان حين تعمى بصيرته، على التبعية العمياء لنزواته وشهواته، واستعداده لإيقاع الظلم بالآخرين فيما لو لم ينفذوا له مراده.

ثم يقول الله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

[رقم الحلقة على القرص المدمج: ٢٩]

تقتربُ بنا الآيةُ الكريمةُ أخي المؤمن، مِنْ نهايةِ مَشْهدِ مجلسِ النِّسْوةِ، في هذا الفَصْلِ مِنْ قصةِ يوسفَ عليه السلام، وقد رأَيْنَا مَعَ الآية السابقة، جُرأةَ ٱمرأةِ العزيزِ في الإفصاحِ علناً عَنْ تَولُّهِهَا بيوسفَ عليهِ السلام، وٱتِّباعِها أُسلوبَ الأَوامِرِ السُّلْطَويةَ عليه، لإجبارِه على طَاعِتها، وتهديدِهِ بالسجَنِ والصَّغَار في حالِ عدمِ الإجابةِ والتلبية. فما كانَ جوابُ يوسفَ عليه السلام؟

يقولُ الله تعالى: **﴿قال ربِّ السِّجْنُ أَحبُّ إِليّ مما يَدْعُونَني إِليه﴾**

في هذا الشطرِ منَ الآية، لطائفُ عدة:

اللطيفة الأولى: في صيغةِ جوابِ يوسفَ عليه السلام: النِّسْوَةُ يوآزِرْنَ ٱمرأَةَ العزيزِ في طَلبِها، فإذا به يصْبَحُ في مواجهةِ جمعٍ مِنَ النِّساءِ، بَدَلَ أَنْ يكونَ في مواجِهة ٱمرأةٍ واحدة، فلم يتقوَ بقُوَّتِهِ، وٱلتجأَ إِلى الله تعالى مناجياً رَبَّه، ولم يَلْتَفِتْ إِليهنّ لمُجَابَهَتِهنّ، فلقد أُعلنت براءَتُهُ قَبْلاً، بَعْدَ رَفْضِهِ المراودة. ولم يَجِدْ

لدى العزيزِ مِنَ الغَيْرةِ ما يُنْصِفه، ولن يَجَدَ هذه المرةَ أيضاً، ما يُنْجِده، فكانَ جوابهُ أنِ آختارَ ما تُهَدِّدُهُ به، مُفَضِّلاً إيَّاهُ على الرُّضوخِ لها.

اللطيفة الثانية: في جماليةِ الأُسلوبِ القرآني، في الردِّ على مَطْلَبِهِنّ، فلم يَذْكُرْ يوسفُ عليه السلام ما يَطْلُبْنَهُ، أي آقترافَ فاحشةِ الزنا، وآكْتفى بالتعريض فقال: ﴿**ما يَدْعُونني إليه**﴾، وفي هذا تعليمٌ لنا في آنتخابِ أَلْفَاظِنا، وتَخَيُّرِ أَكْثَرِها أَدَباً وَلَباقَة.

اللطيفة الثالثة: في العِبرةِ التي نَأْخُذُها مِن حكمةِ يوسفَ عليه السلام، وقد أُوتِي منها باليقين القَطْعِيِّ في نَصِّ القرآن.

ففي الموقفِ الذي وُجِدَ فيه يوسفُ عليه السلام، كانتِ الخياراتُ صعبةً ومؤلمة:

فأَيٌّ مِنّا يختارُ أَنْ يُسْجَنَ ظُلْماً وعُدواناً، وهو يَعْرِفُ ذلك، وظَالِمهُ يَعْرِفُ ذلك، والحَكَمُ يَعْرِفُ ذلك، وسجانه يَعْرِفُ ذلك، إلا إذا كان الخِيارُ الآخرُ أَشدّ مرارةً وَرَهْبَة؟

فيما امرأة العزيز تَتَكَلَّمُ بلهجةِ الواثقة من تنفيذِ وَعِيدِها، وكأنها تُدَبِّرُ خُطَّةً أُخرى مُحْكَمةً تَضْمَنُ بها إِدْخَالَه السِّجْن، ولا يُعْوِزُهَا الكِذبُ أَو الحِيلة..

من هنا نَلْتَمِسُ القاعدةَ البشَريةَ الهامة، التي وَصَلَ إِليها يوسفُ عليه السلام، وأوصَلها إِلينا القرآنُ الكريم: حرمانُ النفسِ منْ بَعْضِ مُتَطَلَّباتِها، أَفضلُ مِنْ مَعْصَيةِ الله تعالى.

اللطيفة الرابعة: في تَأَمُّلِنا للحالِ النفسيةِ التي وَصَل إِليها يوسفُ عليه السلام، حين نَاجَى رَبّه: فقد بَلَغ مِنَ الضيِّقِ والحصرِ مَبْلَغاً يفوقُ المَدى الذي وصلَ إِليه وقْتَ مُراوَدَتِها الأُولى. فقد كانَ جوابُه في المرةِ الأُولى مقتضباً

بقوله: ﴿مَعَاذَ اللهِ﴾[1]، أَعْقَبَهُ تصرُّفٌ ماديٌّ بمغادرةِ الغرفة، ولم تَكُنِ المراودةُ الأُولى مصحوبةً بالتهديدِ ولا بالوعيد، أمّا المُراودةُ الثانيةُ فقد حَصَلَتْ بعدَ شَحْنٍ نفسيٍّ شديد، وتمهيدٍ عملي واقعي بٱستجلاب نُصْرَةِ النِّسْوةِ، وتألُّبِهِنّ عليه، مَعَ مرارةِ تجربةِ تَخاذُلِ العزيز في الحكمِ في المرةِ السابقة. فإذا به مُحاصَرٌ من كُلِّ الجِهات:

- مِنْ جهةِ ٱمرأةِ العزيز، التي تُراوِدُهُ عَنْ نفسِه، بإلحاحٍ بالغ.
- ومِنْ جهة النِّسْوةِ اللواتي يُؤَيِّدْنَ ويُشَجِّعَنَ ٱمرأةَ العزيز.
- ومِنْ جهةِ العزيزِ الذي لنْ يكونَ مَوْقِفُهُ أفضلَ منَ الأوّل.
- ومن جهةِ السِجْنِ الماثلِ أمامَ نَاظِرَيْه.

إنه حقاً موقفٌ لا يَحْتَمِلُه كثيرٌ مِنَ الناس!

ثم يقولُ الله تعالى على لسانِ يوسفَ عليه السلام: ﴿وإلا تَصْرِفْ عنّي كيدَهُنَّ أَصْبُ إليهِنّ وأَكُنْ مِنَ الجَاهِلين﴾.

في هذا الشَّطْرِ منَ الآية، لطائفُ عدة:

اللطيفة الأولى: في إعلامِنا غيرَ المباشِر، بحصولِ تَحوُّلٍ أكيدٍ في موقفِ النِّسْوَةِ مِنَ المسألة، بٱتجاهِ تأييدِ ٱمرأةِ العزيزِ في مَطْلَبها، وهي مسألةٌ خطيرة، نفهمُ منها ما يلي:

حصولُ إجماعٍ عن نُصْرَةِ الباطلِ عند تَحَولِ موقفِ المجتمعاتِ مِنْ رَفْضِ الباطِلِ إلى تأييده..

---

(١) [سورة يوسف، الآية: ٢٣].

نَتَبيَّنُ عُمْقَ فسادِ المجتمعِ الفِرعَونيِّ، حيثُ لم توجد ٱمرأةٌ واحدةٌ رشيدةٌ مِنْ بين المجتمِعات تَرْدَعُهُنَّ عَنْ دَعْوتهنّ إلى البَاطِل.

ونَتبيّنُ مِنْ قولِ يوسفَ عليه السلام، إقْدام النسوةِ على إعمالِ الكيدِ في دَعْوَتِهن، أي التحايُلِ لتحسينِ صورةِ الباطلِ لترغيبهِ به.

اللطيفة الثانية: في عبارة: ﴿تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ إشارةٌ لُغويةٌ جميلةٌ للتعبيرِ عن أفضلِ الحلولِ التي يَراها للتخلُّصِ منهن:

فهو لم يَطْلُبْ مِنَ الله تعالى أنْ يُبْعدَهُنّ عنه، وقد أَصْبَحنَ كثيراتٍ بعد أَنْ كانَتْ واحدة، وقد تلجأُ كلُّ واحدةٍ منهن بعدَ ذلك مَعَ بقاءِ الكيدِ لديها إلى محاولةِ إغوائهِ بطُرقِها الخاصة.

وهو لم يَطْلُبْ أنْ يُبْعِدَه عَنْهُن، لأنّ البُعْدَ الماديّ، لا يَعْنِي شيئاً إذا ما ٱستمرّ التأثيرُ الفِكريُّ حاضراً.

فكانَ طلبهُ بأَنْ يَصْرِفَ الله تعالى عنه كَيْدَهُنَّ، أفضلَ ما يمكنُ أنْ يَطْلُبَهُ إنسانٌ وُجِدَ في مثِلِ هذا الموقف.

اللطيفة الثالثة: في وقوفِنا عندَ تحليل يوسفَ عليه السلام، لحال النفسِ البشريةِ عندَ تَعَرُّضِها المستمرِّ لضغوطِ الغِوايةِ، فيما لو تُرِكَ لها أَنْ تتَفَاعَلَ مَعَ هذه الضغوط. وكانَ كلامهُ الموجَزُ مُعَبِّراً عنْ آليةِ الوقوعِ في المعصية. نتوقَّفُ عندَها قليلاً، لأهميتِها القُصْوَى في مجتمعاتِنا على مَرِّ الزّمَان:

لَقَدْ غَرَسَ الله تعالى في الإنسانِ كمّاً هائلاً منَ الأَحاسيسِ والعواطفِ تُساعِدُه في إتمامِ مُهمَّتِهِ بالوِلايةِ في الأَرضِ والسِّيَادةِ على بقيةِ المخلوقاتِ فيها، وضبطِ التعاملِ مَع أَمثالِه مِنَ البَشَر، وٱستمرارِ الحياةِ وحِفْظِ النوع، وجعلَ الله تَعالى لهذه العواطف ضوابطَ مُحْكَمَةٍ تَضْبِطُها وتَمْنَعُها مِنَ التَّفَلُّتِ، لِما لَتَفَلُّتِها من آثارٍ مُدَمِّرَةٍ للمجتمعِ الإنسانيّ.

وما ذاك إلا بألتزامِ أحكامِ الله تعالى، فيما عَلَّمَ البشرَ بما أرسلَ إليهم مِنْ شَرائعَ ورُسُل.

عند هذا الباب، وقفَ الشيطانُ اللّعينُ لِينْفُذَ إلى الإنسانِ بحضِّهِ على فَرْطِ العواطِفِ مِنْ عُقَالِها، وإرسالِ العِنانِ لها، مع ما نَعْرِفُه مِن انصياعِ الجوارحِ لِهياجِ العَواطِف، ونختارُ مِن مجموعِ هذه التَفَلُّتاتِ، مسألةً واحدةً فقط، تتوافَقُ مَعَ مَضْمونِ الآيةِ الكريمة، موضوعِ تأمُّلِنا اليوم، وهي مسألةُ خَطَرِ حُصولِ جُرْمِ الزِنا:

فقد أَصبحَ معروفاً اليوم، أَنّ تَحَرُّكَ إفرازِ أَنواعٍ مخصوصةٍ منَ الهرُموناتِ في أجسامِنا، بما قَدَّرَ الله تعالى لها في أوقاتٍ مخصوصةٍ من حياتِنا، تبدأُ مَعَ البلوغ، وتمتدُّ طِيلةَ فترةِ الخُصوبة، تُتَرْجَمُ عملياً مَيْلاً إلى الجِنْسِ الآخر؛ هذه الهُرموناتُ، تُحرِّكُ النفسَ، فتتحركُ مَعَها العواطفُ التي سَبَقَ ذِكْرُها. هنا يبدأُ التفاعلُ ومعه يبدأُ الصِّراعُ بين نوازعِ الخيرِ المتمثلةِ بالضوابطِ الشرعية، ونوازعِ الشّرِّ المتمثلةِ بوَسَاوُسِ الشيطانِ اللعينِ وتزيينِهِ.

وفي جولةٍ سريعةٍ لمحاولةِ معرفةِ أسبابِ غَلبةِ نَوازعِ الشَرِّ، وبالتالي حُصولِ الزنا نجدُ ما يلي:

هناك أولاً ضَعْفُ النفس، وضَعْفُ الضوابطِ الإيمانية، التي إمّا أَنْ تكونَ قد بُنِيَتْ بصورةٍ هَشّةٍ ضعيفة، أو لم تُبْنَ أَساساً.

وتلك مسؤوليةُ الأَهل الذين أُنيطَ بهِمُ البِناءُ فَلَمْ يَفْعَلُوا.

وهناك عدمُ الإحصان، ممّا يُضْعِفُ الدِّفاعاتِ التي قَدْ تَتَهاوَى تحتَ ضَرباتِ المُغْرِيات.

وهناك عدمُ تأديبِ النفسِ وتهذيبِها وتمرينِها لتجاوُزِ المغرِيات.

فمنْ لم يَتَحضّرْ ويتأَهّلْ ويتمرّنْ لمباراةِ الصراعِ مَعَ وَساوُسِ الشيطانِ، يَهْزُمُه من الجولةِ الأُولى.

وهناك قوةُ المغرياتِ الخارجية، رُغْمَ وُجودِ الضّوابط: وهذا العُنْصر هو الذي يُرَكِّزُ عليه الشيطانُ في أَيّامِنا: فهو لم يَتْرُكْ واحدةً مِنَ التِّقْنِيّاتِ الحديثة، ولا الفتحَ العلميَّ التكنولوجي، إلا وٱستثمَرهُ في نَشْرِ الرَذِيلة، والغِواية، حتى أَصْبَحْنَا مُحاطِينَ مُحْدَقِينَ منْ كُلِّ الجَوانب، مُحاصَرِينَ حتى في بيوتِنا ومَخَادِعِنا، تُقَدَّمُ لنا الغِوايةُ مَعَ الطعامِ والشرابِ والأخبار، تُقَدّمُ لنا في التربيةِ والتعليم، تُقَدَّمُ لنا في الرياضةِ والتنشئة.

ومَعَ العملِ الجَادِّ الواجبِ لدفعِ كُلِّ هذه الشرور، نقولُ مَعَ يوسفَ عليه السلام. **﴿وإِلا تَصْرِفْ عنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِليهنّ وأَكُنْ مِنَ الجاهلين﴾**.

نسألُ الله تعالى لنا جميعاً السلامةَ والنُّصْرَةَ على الشيطانِ وجُنودِه، إنه سميعٌ قريب.

مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

١ - للدلالة على مشروعية قبول وقوع الظلم بالسجن، كخيار أوحد لعدم الوقوع في المعصية.

٢ - للدلالة على سهولة وقوع الإنسان، وخصوصاً الشباب في الغواية، وهو بحاجة إلى نصرة الله تعالى لصرف الكيد عنه، وليس له أن يستقوي بثبات نفسه وقوة شخصيته نظراً لانغراس الضعف في أصل تكوينه.

٣ - للدلالة على أن اختلاط الرجال بالنساء والفتيان بالفتيات هو عامل غواية شديد يُسهّل وقوع الفاحشة، ولقد أكده القرآن الكريم على لسان يوسف عليه السلام فليس للنظريات القاصرة أن تكذبه.